السلسلة الأولي

الظاهر والباطن

١

موسى والخضر

عليهما السلام

علما الظاهر والباطن

تأليف

محمود المراكبي

الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن الظاهر والباطن
Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

سلسلة الظاهر والباطن
الكتاب الأول

موسى والخضر

عليهما السلام

(علما الظاهر والباطن)

تأليف

محمود المراكبي

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(الطبعة الثانية)

Upload by : altawhedmag.com

رقم الإيداع: ٣٠١٠ / ١٩٩٦ م
الترقيم الدولي
I.S.B.N-٩٧٧-١٩-٠٣٠١-٢

Upload by : altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾ [الكهف-١]، نحمده سبحانه حيث أُنزل إلينا ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت-٣]، له الحمد سبحانه حيث جعل القرآن تبيانا لكل شيء، وأكد سبحانه ذلك بقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام- ٣٨]، ثم الحمد لله كل الحمد، حيث تعهد بحفظ القرآن، ولم يوكل ذلك إلى غيره، وأنزل إلينا خاتم أنبيائه وخاصة رسله وأصفيائه سيدنا محمد ﷺ الذي جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، بلَّغ رسالة ربه، ونصح لقومه، شرح لهم الدين وبيَّنه لهم أوضح تبيين، وفصل لهم حقائقه، وصدق الله العظيم، حيث يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل- ٤٤]، وأشهد أن نبينا ﷺ اختار الرفيق الأعلى بعد أن أكمل رسالته، وأتم أركانها، وأحل حلالها وحرم حرامها، وأقر منهجها، ومهد طريقها، وما ترك سبيلا يقرب إلى الله إلا ودلَّنا عليه، وما خاف على أمته من ذنب صغير، أو كبير إلا وحذرها منه، وأشهد أصحابه على ذلك يوم الحج الأكبر، فشهدوا أنهم تلقوا عنه الدين واضحا جليا، لا لبس فيه ولا غموض، ليله كنهاره، فما ترك أمته إلا على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيد ولد آدم، المبعوث رحمة للعالمين، الشفيع يوم الهول الأكبر، صاحب لواء الحمد يوم المثول - بين يدي الله ﷻ - والعرض، اللهم اجزِ عنا نبيك أفضل ما جزيت نبيا عن قومه، واحشرنا يا مولانا في زمرته، وتحت لوائه، وصلِّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

أما بعد،،

Upload by : altawhedmag.com

فتعد قصة موسى والخضر عليهما السلام من القصص الغنية التي شغلت المسلمين طويلا، بل إن بعض الناس جعل منها عمود الرحى الذي تدور حوله أفكارهم ومعتقداتهم، بل إن الفرق الباطنية قسمت الدين إلى ظاهر وباطن، اعتمادا على الوقائع التي أجراها الله تبارك وتعالى على يدي العبد الصالح، وقد شغلتني هذه القصة، كما شغلت غيري من السالكين إلى الله ﷻ، وكان يشدني أي كتاب يتناول هذه القصة، وقد اطلعت على أكثر الكتب المطبوعة للمؤلفين المعاصرين، أو القدامى ، مثل: "الزهر النضر في نبإ الخضر" لابن حجر العسقلاني، و"الميزان الخضرية" للشعراني، و"الخضر عليه السلام وشأنه في الأنام" لحسين السلواوي، و"حياة الخضر" لمحمود شلبي، هذا بخلاف أمهات الكتب التي بحثت الموضوع من جوانب متعددة، وكانت تستوقفني أخبار هذا اللقاء المتناثرة في أمهات كتب التفسير، والحديث الشريف، وكتب الرقائق، والتصوف، وغيرها، وقد لاحظت أن هذه الكتب تتناول القصة مجردة عن النتائج التي بنيت عليها، كما أن مؤلفيها إما صوفي مؤيد لحياة الخضر وولايته، وإما منكر معارض للصوفية، ولم أجد في هذه الكتب ما يروي غُلَّتِي، ويغطي جوانبها بما يحسم القضية، وهذا لا يتأتى إلا بمناقشة أفكار كل طرف وأدلته، وقياسها على هدي الكتاب والسنة، ثم مناقشة الآثار المترتبة على هذه الأفكار.

وقد شعرت بالتزامي بأهمية نقل تجربتي ومعايشتي الكاملة للصوفية من نطاق التجربة الشخصية إلى دائرة البحث، والتأصيل العلمي، ومن ثم الخروج من أخطاء في طريق صوفي معين إلى مناقشة مفاهيم التصوف الأساسية، ونقل الأمر لكل من يهتم بالتصوف. وقبل أن نعرف القارئ الكريم بمحتويات الكتاب، نقول : إن سلسلة الظاهر والباطن تحتوي على الكتب التالية:

الكتاب الأول: الذي بين يديك "**موسى والخضر**"، يبدأ بتناول قصة موسى والخضر التي تمثل حجر الأساس في تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، ويتناول هذا الجزء من الكتاب اللقاء من

Upload by : altawhedmag.com

جوانب متعددة، وسنحدد بوضوح نتائج هذا اللقاء، والدروس المستفادة والعبر. وسيجد القارئ الكريم إجابات محددة لمجموعة من الأسئلة الهامة منها:

* من الخضر؟
* هل الخضر حي هو حتى اليوم؟ وما مهمته؟
* أنبي هو أم ولي؟ وما الهدف من لقائه موسى؟
* ما العلم اللدني؟

الكتاب الثاني : "جذور الشيعة وجيش المهدي"، نعرض فيه نشأة وتطور الفكر الباطني، ودور الفلسفات القديمة قبل اليهودية، ثم دور اليهودية، ثم المسيحية وظهور فكرة قدم نور المسيح في النصرانية، والقول بالتثليث ، وخطيئة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة، التي جرت اللعنة على بني آدم حتى افتدى المسيح تلك الخطيئة، ثم ناقشنا الفكر الباطني عند النصارى، وتتبعنا تسرب الفكر الباطني إلى الإسلام، وكيف تجمعت قوى الشر من المجوس واليهود وأعوانهم لضرب الإسلام من داخله، فكانت مؤامرة التصفية الجسدية للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي - والمسمى عندهم بابا شجاع الدين وفق ما تذكره دائرة المعارف الشيعية – لقد اتخذوا من مقتل الفاروق عيدا يحتفلون به سنويا هو عيد بابا شجاع الدين، وكانت تلك أول نجاحات الحقد الأسود على الإسلام والمسلمين، ثم جاءت الضربة الثانية في فتنة قتل عثمان، وبدأت الخطوة الثالثة في زرع بذرة التشيع في الإسلام، وظهور فكرة قدم نور الأئمة، وبذلك ضربت جذور الشيعة في ظلام الفكر الباطني، ونسجت على نفس المنوال، فرفعت الأئمة إلى مقام عيسى عند النصارى، وكان لابد من بيان عقيدة الشيعة من مصادرهم المعتمدة عندهم، وأثناء سيرنا على درب البحث والتأصيل، وجدنا أنفسنا نسلط النور بقوة في عقول وأفئدة أهل السنة، فيتحول الكتاب من دائرة البحث النظري إلى رسالة تحذير واضحة إلى كل مسلم ومسلمة، فما يُحاك من مؤامرات طوال القرون السابقة، والتي تجمعت بشكل لا يخفى في عصر انفجار المعرفة، بهدف تفتيت دولة الإسلام،

Upload by : altawhedmag.com

والانقضاض على أهل السنة، وليبرز دور سيف المهدي وجيشه في رقاب العرب، ويبين مآربهم في اقتحام المدينة، ثم هدم الكعبة المشرفة، ثم هدم المسجد الأقصى، وبناء هيكل سليمان، وحسب اعتراف الشيعة أنفسهم، فإن المهدي سيدعو إلى وحي جديد، وتعاليم جديدة، إمامهم فيها المهدي المنتظر، حيث سيسير على خطى سليمان وداود عليهما السلام. ثم عقائد غُلاة الباطنية، ومنهم الإسماعيلية، والدروز، والنصيرية.

الكتاب الثالث: نُفرده لبيان **"عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة"**، نوضح فيه تأثر الفكر الصوفي بأفكار الباطنية، ونخصص فيه أبوابا لمفردات الفكر الصوفي، ونربط بين أفكار القوم، والمناهل التي اسْتُقِيت منها هذه الأفكار، ونتتبع تطور الفكر الصوفي من القول بالفناء، ثم الحلول والاتحاد، ثم ظهور فكرة قدم النور المحمدي، وابتكار ابن عربي حيث أخذ فكرة وحدة الوجود الفلسفية التي كساها ثوبا إسلاميا ثم أسماها الحقيقة المحمدية، ومن ورائه عمر بن الفارض، ثم يأتي دور ابن سبعين في الوحدة المطلقة، ثم يفصل عبد الكريم الجيلي نظرية الانسان الكامل، ثم يتناول الكتاب أوراد أشهر عشرين طريقة صوفية معاصرة بالتحليل، لتقييم ما يتلقنه المريدين من أوراد يتلوها يوميا أكثر من خمسة مليون صوفي في مصر وحدها ومناقشة ما يدور في تلك الأوراد من عقائد ومعتقدات لا يدرك مراميها السالكين على الدرب.

الكتاب الرابع : "القول الصريح عن حقيقة الضريح"، والذي قد عقدت النية على كتابته منذ سنوات طوال حين تكشفت لي حقائق لا يعلمها كثير من الناس، ومما زاد من أهمية نشر هذه الحقائق ما يحدث إلى الآن في الأضرحة [ونخص في هذا الكتاب ضريح الحسين وضريح السيدة زينب] من موالد، وحضرات ونذور، وتوسل إلى الله ﷻ بآل البيت، ولما كانت الصوفية هي المسئول الأول عن إمداد هذه الأضرحة والموالد بالمريدين وغيرهم ... فكان لا

Upload by : altawhedmag.com

بد من البحث العلمي التاريخي لمراقد الحسين والسيدة/ زينب وعلي زيـن العابـدين رضـوان الله عليهم أجمعين؟!.

الكتاب الخامس: "السلوك القويم على الصراط المستقيم"، ونتناول فيه بيان الطريق القويم على الصراط المستقيم، ودعائم تربية النفس، ومهمـة العقـل، ودور القلـب، وكيـف نطهـر الجسـد ليحمل زاد المسير إلى رب العالمين، وهذا الكتاب ليس دعوة للانضمام إلى طريق جديد لا سـمح الله، ولكنه يقدم تحليلا لنصوص الكتاب والسنة تبين الطريق القويم، وكيف يسلكه المتمسكون بالكتاب والسنة، الذي يضيء لصاحبه كثيرا من الفهم عن الإنسان، والكون، والخالق سبحانه، وكيف يعين الفهم على اجتناب مواطن الزلل؟

Upload by : altawhedmag.com

الهدف من هذه السلسلة:

يساعدنا على تصوير مرادنا من سلسلة الظاهر والباطن، تأمل حديث رسول الله ﷺ الذي يصور فيه جماعة المسلمين أنهم ركاب سفينة واحدة، فيقول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله تعالى والواقع[1] فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[2]، ويوضح لنا هذا الحديث الأمر على حقيقته، فالمسلمون جميعا ركاب سفينة واحدة، ولا بد أن تجتمع الفرقة الناجية على الحق، وتجادل الآخرين بالحسنى، حتى لا نتركهم ينحرفون بمعتقداتهم حتى يخرقوا السفينة، ففي ذلك هلاكنا جميعا، ولو سلمنا لهم وما يريدون وقع الغرق علينا وعليهم، أمَّا: لماذا نركز على الباطنية، ونترك العصاة والمذنبين؟ فنقول: إن العصاة لا يتعرضون للتوحيد، ولا ينحرفون بالعقيدة الإسلامية، غاية ما هناك أنهم وقعوا في الشهوات، وربما الكبائر، وأمرهم متروك لربهم إن شاء حاسبهم، وإن شاء تاب عليهم، أما دعاة الباطنية ،فلا تحمد عقباهم، وخطرهم على السفينة كلها.

يعتبر كثير من البسطاء علماء كانوا، أو من عامة الناس، أننا في وقت نحتاج فيه إلى الوحدة، والعمل سويا، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، فلن نجني من وراء ذلك إلى تقسيم المقسم أصلا، وزيادة جرعات الوهن في الجسد النائم بلا حراك؟ ورب قائل يقول: "لِمَ شغلت نفسك بمن شهد أن لا إله إلا الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وغفلت عن العصاة، والمبتعدين عن سبيل الله؟ أليسوا أولى بجهدك هذا؟

---

١ وفي رواية أحمد: «والراتع فيها والمدهن».

٢ حديث النعمان بن بشير، أخرجه البخاري، في كتاب الشركة ٢٣١٣، وفي كتاب الشهادات حديث ٢٤٨٩، والترمذي في الفتن ٢٠٩٩، وأحمد في مسنده ٢٠،١٧٦٤٧،١٧٦٥٣،٢٠١٩٨،٢٠٢٠٠

Upload by : altawhedmag.com

والجواب على ذلك: أن الأمر في حقيقته ليس بهذه السذاجة، بل هو أخطر من ذلك بكثير، ودليلنا هو:

- إن أعداءنا في غاية النشاط، فالمواقع على الإنترنت كثرت، والتوجه إلينا ليس ظنا أو وهما، فالكنيسة الغربية جمعت في سنة واحدة سبعين مليار دولار لتنصير إفريقيا، ومواجهة المد الإسلامي بها.
- كما ظهر تشيع بعض أهل السنة، وياليتهم يسترون على بلواهم، وإنما راحوا يكتبون الكتب ومنها: الخدعة رحلتي من السنة إلى الشيعة لصالح الورداني، وكتاب وركبت السفينة وغيرها مما راج توزيعه في أرض السنة.
- لو اتبع الأنبياء والمصلحون والدعاة نفس المنطق ما عبد الله على ظهر الأرض أبدا، فدعوة الخلق إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه من أشرف الأعمال: والحديث الشريف يقول: "لئن يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم".
- يجدر بنا أن نعرف أن سنن الله تعالى ثابتة، وكلماته تامة، ولا مغير لسنته، ولا مبدل لكلماته، وهذه القواعد الربانية هي التي تحكم فلاح الناس في حياتهم، وعلاقة البشر بربهم، وإذا اقترب العبد من ربه شبرا جاءه ربه بذراع، ومن جاء إلى ربه ذراعا جاءه ربه باعا، ومن جاء إلى ربه يمشي جاءه الحق ﷻ هرولة، فما بالك بإقبال أمة الإسلام، أو مصرٍ من أمصارها على الله؟ فما ظنك بعطاء الله تعالى لها على قدر خطى الإصلاح، ومقدار التصحيح في العقيدة، وكلما أزالت الأمة عن كاهلها مظاهر الشرك؟ كلما فتحت لها بركات السماء والأرض.
- إن درب تصحيح المفاهيم يوصل إلى صلاح الدين والدنيا والآخرة، فهو يهيئ لنا سبل الخروج من أزماتنا، وبصلاح حال الرعية، يقيم الله عليهم من يرفق بهم، وينتصر لدين الله تعالى ساعيا إلى تطبيقه بالحسنى، دون تشدد أو غلظة أو قهر أو إكراه، فدين الله تعالى أعظم النعم، وأكبر الرحمات التي وهبها الله تعالى إلى خلقه، ولن ينعم أحد بخيرها إلا

Upload by : altawhedmag.com

من يستحق سعادة الدنيا والآخرة. فما بالك إذا سارت الأمة في تصحيح المفاهيم، وإعلاء شرع الله تعالى، والبشرى العاجلة ثابتة في قوله سبحانه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج- ٤٠].

فسلسلتنا هذه دعوة للعودة إلى دين الله ﷻ، وتصحيح العقيدة، فبهذا بدأ رسول الله ﷺ في مكة، حيث مكث ثلاث سنين لا يُعلم أصحابه، ولا يقول لقومه إلا : ﴿قولوا لا إله إلا الله تفلحوا﴾ . والله من وراء القصد، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

المنهج المتبع في كتب السلسلة :

وقبل أن نشرع في الكتاب الأول نود أن نوضح منهجنا، والأسلوب الذي اتبعناه، فنقول وبالله تعالى التوفيق: "إن منهجنا هو منهج المحَدِّثين، وسنعرض أكبر قدر ممكن من أشهر الروايات التي ذكرها أصحابها، ونقلها عنهم العلماء، وكما هو معلوم عند المحدثين أن المتن يستند على السند، ويعتمد عليه، فإن صح السند نظرنا في المتن، وإن لم يصح السند، أو اختل فيه شرط من شروطه، فقد سقطت درجة الحديث، وعلى قدر الخلل يكون نزول الحديث إلى درجة الضعيف، ومن دونه الموضوع، والحديث الموضوع هو الكذب المفترى على النبي ﷺ. ولقد وضع علماء الحديث خمس شروط، وضوابط يصح بها السند، وهي: اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبط الرواة، وعدم الشذوذ، وعدم العلة". وعدم اتصال السند يكون بنوعين من السقط: سقط ظاهر، وذلك بسقوط راو أو أكثر من السند: فالإسناد المعلق: هو من سقط منه شيخ المصنف، والمرسل: من سقط منه الصحابي راوي الحديث، والمنقطع من سقط منه راوي في وسط السلسلة، أما إذا سقط من السند أكثر من راوي فهو الإسناد المعضل. أما السقط الخفي فينقسم إلى تدليس الشيوخ والعنعنة. أما عدالة الرواة وضبطهم فيعبر عنهما بمرتبة الراوي، وللحافظ ابن حجر تقسيم لمراتب العدالة من ست مراتب: أعلاها مرتبة

Upload by : altawhedmag.com

الصحابة وهم عدول، ثم مرتبة الثقة الثبت، يليها مرتبة الثقة، والحديث الذي يضم رواة ثقات يصبح صحيحا إذا لم يكن فيه شذوذ أو علة، وحكمه وجوب العمل به والاحتجاج به.

أما الحديث الحسن: فهو الذي نزلت مرتبة رواته إلى مرتبة الصدوق، وهي المرتبة الرابعة من مراتب العدالة، ويليها مرتبة الصدوق الذي يهم، ثم المرتبة السادسة وهي مرتبة المقبول، وهذا يجعل الحديث يصح بغيره إذا توبع، ثم تأتي مرتبة الجهالة والضعف، من المرتبة السابعة إلى التاسعة، وهي التي تنزل بدرجة الحديث إلى درجة الضعيف، وتزداد درجة الحديث نزولا إذا نزلت مرتبة أحد رواته إلى مرتبة منكر الحديث، أو متروك الحديث وهذا يوصلنا إلى درجة الضعيف جدا، ويبقى لدينا مرتبة الرواي المتهم بالكذب أو الوضع وهي المرتبة الحادية عشر، وتنزل عنها مرتبة من ثبت أنه يضع الحديث وهذا يبلغنا إلى درجة الحديث الموضوع، فإذا قرر علماء الحديث أن الحديث موضوع، نقلنا أقوالهم، وأشرنا إلى المصادر التي نقلنا عنها هذه الأحكام، كما سنشير إلى تعليق العلماء على إسناد كل رواية، واتصال رواتها، ومرتبة رجالها، وأقوال علماء الجرح والتعديل عنهم، ثم نناقش مضمون القصة، وما ترمي إليه، وموافقتها للنقل والعقل، حتى نصل إلى قناعة عن قيمة الرواية، وما تضيفه إلى موضوع الكتاب. كما ننقل فهم سلف الأمة وأقوالهم، ثم نستخلص من ذلك الدروس والعبر، ونوجز النتائج، ولا نناقش أفكار الفرق إلا من كتبهم، وحسب رواياتهم في كتبهم المعتمدة عندهم، وفي كثير من الأحيان أسوق النصوص دون أي تعليق عليها، وأنا أقصد من ذلك أن يصل القارئ إلى النتائج قبل أن يراها مدونة أمامه، وبهذا نجعل الكتاب مشاركة بين المؤلف، والقارئ، وستجد كثيرا من المعلومات الهامة مذكوره في الهامش كتعليق حول النص، وقد قصدت ذلك حتى لا تزدحم المعلومات أمام القارئ الذي يريد معرفة خلاصة الأمر، أما من أراد أن يستقصي الأمر كاملا، فعليه أن يتتبع التعليقات؛ ففيها معلومات هامة، وتوثيق واضح، وهو بذلك يعتمد في تكوين أفكاره على علماء الأمة وسلفها المبارك. كما استخدمنا الأقواس ﴿ ﴾ حول الآيات القرآنية ،

Upload by : altawhedmag.com

والأقواس ﴿﴾ حول الأحاديث النبوية ، وعلامات التنصيص " " حول أقوال الرجال التي ننقلها من مصادرها .

والله نسأل أن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن يسدد خطانا، وييسر مسعانا، ويجعل الحق أحب إلينا من أنفسنا، وأن يحبب إلينا الإيمان، وأن يزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يحشرنا في مستقر رحمته مع الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

، ولا يسعنا إلا أن نسأل الله الكريم أن يكافئ المغفور له فضيلة شيخ الجامع الأزهر السابق الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق على تدخله شخصيا ، حتى رأت هذه الكتب طريقها إلى الناس ، فشكر الله له ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء . وكذلك كل من ساهم في إخراج هذه الكتب والله يتولى الصالحين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

محمود المراكبي

٠١٠٦٣٥٧٩٠٠

Upload by : altawhedmag.com

الباب الأول

العبد الصالح

١. من العبد الصالح؟

٢. حياة الخضر عليه السلام

٣. الخضر والفرق الباطنية

٤. القول المبين في حياة الخضر

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول
مَن العبد الصالح؟

أولا: اسم العبد الصالح.

لم يذكر القرآن اسما للعبد الذي لقي موسى عليه السلام، وإنما أشارت الآيات إلى وصفه بالصلاح واختصاصه بعلم من لدن الحق تبارك وتعالى، في حين نصت السنة النبوية المطهرة أن اسمه الخَضِرُ، وسبب تسميته يرويه البخاري، عن النبيﷺ، حيث يقول: ﴿إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء﴾[1].

وعن مجاهد، قال: "إنما سمي الخضر لأنه أينما صلى اخضر حوله"[2]، واتفق في الصحاح أن كنيته أبو العباس.

ثانيا: بدء أمر الخضر.

لم يتوقف المغرمون بغرائب الأمور عند القدر الذي صرحت به مصادر الدين الأصلية، بل شغلوا أنفسهم بأمور كثيرة لا تقدم، ولا تؤخر في صلب قصة موسى والخضر عليهما السلام، منها ما بدء أمر الخضر؟ ويجيبنا على هذا التساؤل الحكيم الترمذي في كتابه ختم الأولياء، فبعد أن وصف الأولياء، وأوضح علاماتهم نراه يقول: اتفاق الألسن بالثناء عليهم إلا من ابتلي بحسدهم، استجابة الدعوة، وظهور الآيات: مثل طي الأرض، والمشي على الماء، ومحادثة الخضر عليه السلام، الذي تُطوى له الأرض، برها وبحرها، وسهلها وجبلها، في طلب مثلهم والشوق إليهم، وللخضر عليه السلام قصة عجيبة في شأنهم، وقد عاين شأنهم في البدء، ومن وقت المقادير، فأحب أن يدركهم، فأُعْطِي الحياة حتى بلغ من شأنه، أنه يحشر مع هذه الأمة، وفي زمرتهم، حتى يكون تبعا لمحمد ﷺ، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل وذي القرنين، كان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة

١ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رقم ٣١٥٠، وأحمد في مسنده ٢: ٣١٢، والترمذي في صحيحه ٣١٥١، وابن حبان حديث رقم ٦١٨٩

٢ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأبي إسحاق النيسابوري المعروف بالثعلبي ٢٢٠

Upload by : altawhedmag.com

ففاتته، وأصابها الخضر في قصة طويلة[١]. وتقرر هذه القصة أمورا غريبة، أهمها: بدء شأن الخضر من يوم كتابة المقادير، وحبه للصالحين هو سبب بقائه إلى قيام الساعة، وأنه عاش في زمن إبراهيم الخليل، وأنه شرب من ماء الحياة، وسنبين هذه النقاط في الفصل الثاني.

ثالثا: نسب العبد الصالح.

ومما اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا قولهم حول القضايا الآتية: نسب الخضر، ومن يكون؟ متى ولد؟ وكم عاش من السنين؟ هل وافته المنية، أم ما زال يحيا إلى اليوم؟ هل سيموت قبل قيام الساعة مباشرة؟ قد اختلفت أقوالهم، وفاقت العشرة أقوال لم تتفق على أول تساؤل يعرفنا من الخضر؟ فقد قالوا: الخضر هو:-

١. ابن آدم عليه السلام لصلبه نسئ له في أجله حتى يقتل الدجال.
٢. ابن قابيل، واسمه خضرون.
٣. ابن نوح عليه السلام.
٤. الخضر من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.
٥. الخضر بن أرميا بن خلقيا.
٦. الخضر بن فرعون، وقيل ابن بنت فرعون.
٧. من سبط هارون عليه السلام.
٨. هو المعمر بن مالك بن عبد الله بن الأزد.
٩. هو اليسع.
١٠. أمه رومية، وأبوه فارسي.
١١. من ولد فارس

١ ختم الأولياء للحكيم الترمذي ٣٦٢، ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة أن الحكيم الترمذي أول من افترى القصة الصوفية للخضر انظر صفحة ٢١٨

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني:

حياة الخضر عليه السلام

يقرر القول الأول من الأقوال العشرة التي ذكرناها آنفا، أن حياة الخضر عليه السلام ممتدة، منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، ولا شك أنها حياة أطول من أن نتأملها دفعة واحدة، لذا سندرس الأقوال التي وردت عن هذه الحياة بعد تقسيمها إلى مراحل ثلاث:-

١. حياة الخضر قبل الطوفان.
٢. حياة الخضر بعد الطوفان.
٣. حياة الخضر بعد بعثة النبي ﷺ

وسنحاول دراسة هذه المراحل على ضوء الكتاب والسنة، فنعرض الآيات القرآنية، ثم الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، مع تخريج الآيات من القرآن الكريم، وكذا تخريج الحديث، وبيان موضعه من مصادر السنة المعتمدة.

أولا: حياة الخضر قبل الطوفان.

تضاربت الأقوال الثلاثة الأُوَل حول حياة الخضر عليه السلام قبل الطوفان، فقالوا: أبوه آدم، ومنهم من قال: "أبوه قابيل"، وقال آخرون: "إنه ابنُ نوح عليه السلام".

١. **الخضر بن آدم**: رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، والدارقطني في الأفراد من طريق رواد بن الجراح[١]،

قال: حدثنا مقاتل بن سليمان[٢]، عن الضحاك[١]، عن ابن عباس، أنه قال: "الخضر بن

---

١ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥: ١٤٥، وعقب بقوله: "وهذا حديث محال عن ابن عباس، ثم تتبع رواة الحديث بقوله: "رواد بن الجراح ضعيف"، وقال البخاري: "رواد لا يكاد أن يقوم به حديث". كما ذكره النسائي في الضعفاء ترجمة رقم ١٩٤، وقال: "ليس بالقوي، روى غير حديث منكر، وكان قد اختلط".

٢ هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخرساني، أبو الحسن البلخي، المفسر، كذبوه وهجروه، توفي سنة ١٠٥هـ، وقال عنه الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٦٤٠٠: هالك، كذبه وكيع، والنسائي، ذكره العقيلي في الضعفاء، وترجم له ابن حجر في التهذيب ١٠: ٢٥١ ترجمة رقم ٥٠٣ وذكره الدارقطني في الضعفاء ترجمة رقم ٥٢٧، وقال: "خرساني يكذب، وقد كذبوه، وهجروه". قد أكثر العلماء في تجريح مقاتل بن سليمان: فقد قال النسائي عنه: "لا شيء البتة"، وقال وكيع بن الجراح: "مقاتل كذاب"، وقال ابن معين: "حديثه ليس بشيء"، وقال السعدي، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: "مقاتل كان دجالا جسورا"، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال أبو داود: "تركوا حديثه"، وقال زكريا الساجي: "كذاب متروك الحديث"، وقال النسائي: "هو من الكذابين

Upload by : altawhedmag.com

آدم لصلبه ونسئ له في أجله حتى يَقْتُلَ وفي رواية: يُكَذِّب الدجال"

درجة الحديث: ضعيف، ومنقطع، وغريب، وقيل: إسناده موضوع.

٢. **الخضر بن قابيل بن آدم**: وهذا القول ذكره أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني في كتاب المعمرين: قال: حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة، وغيره، قالوا: "إن أطول بني آدم عمرًا: الخضر واسمه خضرون بن قابيل بن آدم".

درجة الخبر: إسناده معضل[٢].

٣. **الخضر بن نوح**: من الإسرائيليات التي رواها ابن قتيبة، والطبري، والنووي، وابن عساكر، عن وهب بن منبه، وورد فيها: إن اسم الخضر بليا، أو إيليا بن ملكان، وقيل كلمان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[٣].

يعرض أصحاب هذه الآراء التفسير الآتي عن سبب تعمير الخضر، ومخالفة حياته لسنة الله تبارك تعالى مع موت البشر.

هل عاش الخضر قبل الطوفان؟

يبرر القائلون أن الخضر ابنٌ لآدم عليه السلام رأيهم هذا، بقصة ذكرها ابن إسحاق في المبتدإ، قال: "حدثنا أصحابنا أن آدم لما حضره الموت جمع بنيه، وقال: إن الله منزل على أهل الأرض عذابا فليكن جسدي معكم في المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام، فلما وقع الطوفان، قال نوح لبنيه: إن آدم دعا الله، أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة، فلم يزل

المعروفين يضع الحديث"، وقال عمرو بن علي الفلاس: مقاتل كذاب متروك الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، وقال أحمد بن سيار: هو متروك الحديث، ومهجور القول، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه.

١ أما الضحاك فهو بن مزاحم: وكان شعبة لا يحدث عن الضحاك، وينكر أن يكون لقي ابن عباس، وقال يحيى بن سعيد: "الضحاك عندنا ضعيف". ويقول ابن حجر العسقلاني في الروض النضر صفحة ١٩: "ورواد ضعيف، ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس (راجع تهذيب التهذيب ٤: ٣٩٨)

٢ ذكره ابن حجر في الزهر النضر صفحة ١٩، وقال: وهذا حديث معضل، ونقول: أعضل بمعنى أعيا وأوهن، وذلك لوجود سقط راويين غير متتاليين في السند، والسقط الأول في بداية السند حيث أبهم الراوي الشيخ الذي تلقى عنه الحديث، والسقط الثاني في إرساله الخبر من شيخه أبي عبيدة دون أن ينسبه إلى تابعي أو صحابي أو يرفعه إلى النبي، ومثل هذا السند لا ينظر إليه، والسند المعضل يعد من أوهى أنواع ضعف الإسناد

٣ رواه الطبري في تاريخه ١: ١٨٦، وابن عساكر ٥: ١٤٥، وابن عربي في الفتوحات المكية ٣: ٣٣٦

Upload by : altawhedmag.com

جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي دفنه، وأنجز الله له ما وعده، فهو يحيا إلى ما شاء الله أن يحيا".

وسند القصة معلق ولا يُعرف قائلها، ولا نقلت عمن؟ ومثل هذه الحكايات لا تعد علما، كما أن متن القصة ينطوي على ما يلي:-

- أيخالف آدم عليه السلام سنة الله ﷻ في التعجيل بدفن الموتى؟
- كيف يؤجل آدم دفنه، ويأمر بترك جسده في مغارة أكثر من عشرة قرون[١]، وما الذي منع الطوفان أن يغمر المغارة ؟!
- لو قال آدم لبنيه لا تدفنوني، أيجرؤ الناس بعده على دفن موتاهم، ويعرضونهم العذاب الذي حذر منه أبوهم آدم.
- كيف لم يبادر نوح نفسه، أو بنوه إلى دفن آدم عليهما السلام حتى يظفر أحدهم بطول العمر، كما تَعِدُ الرواية!!
- القول أن الخضر بن آدم عليهما السلام يستلزم معاصرة الخضر لرسالة نوح عليهما السلام وإيمانه بها، ثم ركوبه السفينة، ونجاته من الطوفان، وبقاءه حيا بعد وفاة نوح عليه السلام، وهذا يتعارض مع القرآن الكريم الذي يقرر أن الناجين من الطوفان، هم فقط ذرية نوح، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات- ٧٧].

فالقول بأن الخضر ابن لآدم من صلبه قول على الله بغير علم، وليس له دليل ثابت من الكتاب والسنة، ومن المعلوم أن دين الله تبارك وتعالى لا يستند على حكايات القصاص.

ثانيا: حياة الخضر بعد الطوفان.

تشير الأقوال الثمانية[٢] التالية إلى حياته بعد الطوفان، نناقشها فيما يلي:-

١. الخضر بن عمائيل بن النون بن العيص بن إسحاق: حكاه ابن قتيبة أيضا، وكذا سمى أباه عمائيل مقاتل[٣]، ورواه ابن عساكر، و ابن كثير، وابن حجر.

---

١ من المعروف أن بين موت آدم، وبعث نوح عليهما السلام حوالي عشرة قرون.

٢ ذكر جميع هذه الأقوال ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٤٢٨ وفي الزهر النضر ١٩ - ٢٠

٣ سبق ترجمته وأقوال العلماء عنه.

Upload by : altawhedmag.com

٢. الخضر بن أرميا بن خلقيا: رواه محمد بن إسحاق بن يسار[١]، عن وهب ابن منبه، وقد رد ذلك القول لابن جرير الطبري.

٣. الخضر بن فرعون، أو ابن بنته: رواه محمد بن أيوب، عن ابن لهيعة، وقال أبو الفرج ابن الجوزي: وهما ضعيفان[٢]. يتسم هذا الخبر بالغرابة والسذاجة، إذ كيف يكون الخضر ابن فرعون، أو ابن بنته، ولا يعرفه موسى عليه السلام، وهو الذي نشأ في بيت فرعون، وبين أفراد أسرته، ثم ما الداعي إلى سفر موسى، وفتاه إلى مَجْمَع البحرين للقاء الخضر ؟!.

٤. الخضر من سبط هارون: روي عن الكلبي[٣]، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن ابن عباس، **وإسناده ضعيف جدا**. ويعلق ابن حجر على هذا الخبر بقوله: وهو بعيد

٥. الخضر هو إلياس روي عن مقاتل، وروى ابن عساكر بإسناده إلى السدي، أنه أخوه، ويقول ابن حجر: "وحكي عن مقاتل أيضا، وهو بعيد أيضا".

٦. الخضر بن معمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن أزد: رواه إسماعيل بن أبي أويس[٤].

---

١ محمد بن إسحاق بن يسار أحد الأعلام،من صغار الطبقة الخامسة، إمام المغازي والسير، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، كذبه سليمان التيمي وهشام بن عروة ومالك، ويحيى القطان، ووهيب، وقال عنه يحيى بن معين: "ثقة ليس بحجة"، وقال أبو داود: "قدري معتزلي"، وقال عنه الجوزجاني: "يرمى بغير نوع من البدع، وقال علي بن المديني: "صالح وسط، وقال عنه الدارقطني: "ولخص الذهبي القول فيه، فقال: "ما انفرد به ففيه نكارة، فإن في حفظه شيء، وذكره في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٥٢٧٥.

٢ رواه ابن حجر في الإصابة والزهر النضر، ومحمد بن أيوب هو الكلابي، صدوق من العاشرة، وابن لهيعة هو عبد الله بن لهيعة صدوق اختلط بعد إحراق كتبه، وذكره ابن كثير في البداية ١ : ٣٠٤، وابن القيم في المنار المنيف ١٢٨، وحكى النقاش أنه ابن فرعون.

٣ هو النضر محمد بن السائب الكلبي، المفسر النسابة الإخباري:كان من أتباع عبد الله بن سبا اليهودي، وكان يقول عن نفسه أنا سبئي، وهو متهم بالكذب، قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب، قال الدارقطني وجماعة: "متروك، ذكره البخاري في الضعفاء الصغير، ترجمة رقم ٣٢٢، وقال: تركه يحيى بن سعيد. ميزان الاعتدال للذهبي ٣: ٥٥٨، وعن أبي عوانة، قال: سمعت الكلبي، يقول: كان جبريل يملي الوحي على النبي ﷺ، فلما دخل الخلاء جعل يملي على علي، وقد أجمعوا على ترك حديثه، وأنه ليس بثقة، ولا يكتب حديثه، واتهمه جماعة بالوضع، تهذيب الكمال ٢٨٨، وقال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح، فهو كذب.

٤ حكاه أبو الخطاب بن دحية، عن ابن حبيب البغدادي (راجع الروض النضر في نبإ الخضر تحقيق مجدي السيد إبراهيم ص (٢٠)، وإسماعيل ابن أبي أويس هو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي، قال عنه أحمد بن حنبل: لا بأس به،وقال=

Upload by : altawhedmag.com

٧. أمه رومية، وأبوه فارسي: رواه الثعلبي في العرائس، والسهيلي، وابن عساكر، وابن كثير[١].

٨. أنه من ولد فارس: أخرجه الطبري، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب[٢].

* الخضر وذو القرنين:

تشير رواية منسوبة إلى كعب الأحبار عن علاقة الخضر بذي القرنين عليهما السلام، يقول فيها: "إن الخضر كان وزير ذي القرنين، وأنه وقف معه على جبل الهند، فرأى ورقة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم من آدم أبي البشر إلى ذريته: أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم كيد عدوي، وكيد إبليس، فإنه أنزلني هنا، فقال فنزل ذو القرنين، فمسح جلوس آدم، وكان مائة، وثلاثون ميلا"[٣].

ولا يخفى ما في هذه الرواية من الشطط، فكيف يكون جلوس آدم مائة، وثلاثون ميلا؟!.

* أسطورة عين الحياة:

تكثر الروايات المدونة في الكتب عن أسطورة عين الحياة التي شرب منها الخضر، فكانت سببا في حياته، قد أشرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب إلى أن الحكيم الترمذي أورد قصة شرب الخضر من عين الحياة في كتابه ختم الأولياء. كما أشار إليها ابن عربي، وغيره في كتاباتهم، ونروي عن السهيلي حكاية طويلة نختصرها خشية الملل، يقول فيها: "كان أبو الخضر ملكا، وأمه فارسية، واسمها الهاء، وأنها ولدته في مغارة، وأنه وجد هناك شاة ترضعه.... ثم تحكي القصة: كيف رباه رجل غير أبيه، إلى أن التقى بأبيه، ثم فر منه إلى أن

=عنه ابن معين: ابن أبي أويس، وأبوه يسرقان الحديث، وقال معاوية بن صالح عنه هو وأبوه: ضعيفان، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان مغفلا، وقال النسائي: ضعيف، وقال في موضع آخر: ثقة، راجعترجمته في التهذيب

١ البداية والنهاية لابن كثير ١: ٣٠٤، يرويه عن ابن عساكر عن سعيد بن المسيب، (راجع تاريخ دمشق ٥: ١٤٥ والذي أورد الخبر دون اسناده".

٢ أخرجه الطبري ورواه ابن حجر في الزهر النضر، وضمرة بن ربيعة الفلسطيني: "صدوق يهم قليلا"، وابن شوذب هو ابن عبد الله بن شوذب الخرساني: "صدوق عابد".

٣ يروى عن سليمان الأشج صاحب كعب الأحبار عن كعب.

Upload by : altawhedmag.com

وجد عين الحياة، فشرب منها، فهو حي إلى أن يخرج الدجال، فإنه الرجل الذي يقتله الدجال، ثم يحييه".

إلا أن أشهر أساطير شرب الخضر من عين الحياة تتناول العلاقة بين الخضر وذي القرنين، نذكر منها: "أن ذا القرنين كان له صديقا من الملائكة، فطلب منه أن يدله على شيء يطول به عمره فدله على عين الحياة، وهي داخل الظلمات، فسار إليها، والخضر في مقدمته فظفر بها الخضر دونه"[١].

وتقول رواية مطولة لنفس القصة "حين طلب ذو القرنين من الملك أن يدله على شيء يطول به عمره فأجابه الملك بقوله إن لله عينا تسمى عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبدا، حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت، فقال ذو القرنين: فهل تعلم موضعها؟ قال: لا، غير أنّا نتحدث في السماء أن لله ظلمة في الأرض لم يطأها أنس، ولا جان، فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة، فجمع ذو القرنين علماء الأرض، فسألهم عن عين الحياة، فقالوا: لا نعرفها، قال: فهل وجدتم في علمكم أن لله ظلمة؟ فقال عالم منهم: لِمَ تأل عن هذا؟ فأخبره، فقال: إني قرأت في وصية آدم ذِكْر هذه الظلمة، وأنها عند قرن الشمس، فتجهز ذو القرنين، وسار اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة، فإذا هي ليست بليل، وهي تفور مثل الدخان، فجمع العساكر، وقال: إني أريد أن أسلكها، فمنعوه، فسأله العلماء الذين معه أن يكف عن ذلك؛ لئلا يسخط الله عليهم، فأبى، فانتخب من عسكره ستة آلاف رجلٍ على ستة آلاف فرسٍ أنثى بكر، وعقد للخضر على مقدمته في أَلْفَيْ رجل، فسار الخضر بين يديه، وقد عرف ما يطلب، وكان ذو القرنين يكتمه ذلك، فبينما هو يسير، إذ عارضه وادٍ فظن أن العين في ذلك الوادي، فلما أتى شفير الوادي استوقفه أصحابه، وتوجه فإذا هو على حافة عين من ماء فنزع ثيابه، فإذا ماء أشد بياضا من اللبن، وأحلى من الشهد، فشرب منه، وتوضأ، واغتسل، ثم خرج فلبس ثيابه، وتوجه، ومر ذو القرنين، فأخطأ الظلمة"[٢].

---

١ روي عن خيثمة بن سليمان من طريق جعفر الصادق، عن أبيه: نقلا عن الإصابة في تمييز الصحابة ١: ٤٣٠، ويكرره شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي في الفتوحات ٣: ٣٣٦

٢ رواه ابن عساكر في ترجمة ذي القرنين من طريق خيثمة بن سليمان، قال: حدثنا أبو عبيدة ابن أخي هناد، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي جعفر، عن أبيه، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢:١٠٧، وقد ترجم الذهبي: سفيان بن وكيع بن الجراح في المغني في

Upload by : altawhedmag.com

*** مناقشة أسطورة عين الحياة:**

لا شك أسطورة كهذه لا يقبلها عقل ولا فطرة سليمة، وهي من جنس حكايات العجائز عن الغول والشاطر حسن، كما أنها تتضمن مخالفات عديدة، نوجزها فيما يلي:-

- أن حديثا يدور بين الملائكة في السماء عن ظلمة في الأرض - فيها بئر - لم يطأها إنس، ولا جان.
- الملائكة مشغولة بعين الحياة، وتظن أنها في الظلمة.
- أن لآدم وصيةٌ مكتوبة قرأها أحد علماء ذي القرنين.
- تحديد وصية آدم للظلمة، وأنها عند قرن الشمس، وبرغم تقدمنا التقني إلا أننا ما زلنا لا نجد في الأرض ظلمة ليست بليل، وتفور مثل الدخان.
- يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني أن الروايات التي تزعم أن الخضر شرب من عين الحياة كلها من الإسرائيليات التي يرويها وهب بن منبه وغيره، كما ضَعَّف في كتابه الإصابة كل هذه الروايات، وقال: هي ضعيفة جدا.

*** لقاءات الخضر وإلياس عليهما السلام:**

يحدثنا القرآن الكريم عن إلياس في آيات مباركات منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات١٣٢:١٢٣]، تقرر هذه الآيات نبوة إلياس عليه السلام، وتصفه أنه من المخلصين، والمحسنين، ومن عباد الله المؤمنين، برغم أن القرآن لم يميزه على غيره من الرسل، إلا أن الأساطير، والإسرائيليات التي روجت لحياة الخضر امتدت إلى إلياس عليهما السلام، وجمعت بينهما، بل وجعلت منهما شقيقين. يروي ابن عساكر بسنده إلى السدي: " أن الخضر، وإلياس أخوان، وكان أبوهما ملكا، فقال إلياس لأبيه: إن أخي الخضر لا رغبة له في الملك، فلو أنك زوجته لعل يجيء منه

الضعفاء ترجمة رقم ٢٤٨٩، وقال: ضعف، وقال أبو زرعة: "كان يتهم بالكذب". وقيل كان صدوقا ابتلي بوراقه (وهو من يكتب له الحديث)، أفسد حديثه، وأدخل فيه ما ليس عنده، فكلم في ذلك، فلم يرجع (راجع ميزان الاعتدال للذهبي ٢:١٧٣ ترجمة رقم ٣٣٣٤"

Upload by : altawhedmag.com

ولد يكون المُلك له، فزوجه أبوه بامرأة حسناء بكر، فقال لها الخضر: إنه لا حاجة لي في النساء، فإن شئت أطلقت سراحك، وإن شئت أقمت معي تعبدين الله، وتكتمين علي سري، فقالت: نعم، وأقامت معه سنة، فلما مضت السنة دعاها الملك، فقال: إنك شابة، وابني شاب فأين الولد؟ فقالت: إنما الولد من عند الله، إن شاء كان وإن لم يشأ لم يكن، فأمره أبوه فطلقها، وزوجه بأخرى ثيبا قد ولد لها، فلما زفت إليه، قال لها كما قال للتي قبلها، فأجابت إلى الإقامة عنده، فلما مضت السنة سألها الملك عن الولد، فقالت: إن ابنك لا حاجة له بالنساء، فتَطلبه أبوه فهرب، فأرسل وراءه فلم يقدروا عليه. فيقال: إنه قتل المرأة الثانية لكونها أفشت سره، فهرب من أجل ذلك، وأطلق سراح الأخرى، فأقامت تعبد الله في بعض نواحي تلك المدينة، فمر بها رجل يوما، فسمعته يقول: بسم الله، فقالت له: أنى لك هذا الاسم، فقال: إني من أصحاب الخضر، فتزوجته فولدت له أولادا، ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون، فبينما هي يوما تمشطها إذ وقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي، فقالت: لا بل ربي، وربك، ورب أبيك الله، فأعلمت أباها، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها، فألقيت فيه، فلما عاينت ذلك تقاعست أن تقع فيها، فقال لها ابن معها صغير: يا أمه، اصبري فإنك على الحق، فألقت نفسها في النار، فماتت رحمها الله"[1].

هذه قصة واهية مفككة ملفقة تماما، فهي تنسب الكيد، والدسيسة لإلياس، حيث طلب من أبيه أن يزوج أخاه الخضر، ولا رغبة له في الزواج، وتنسب الكذب، والقتل، والهرب للخضر، وتنسب الجبروت، والظلم لأبيه، والقصة تفيض منها الدعوة إلى الرهبانية، والعزوف عن النساء، كما تزعم القصة أن الملك "أبا الخضر" أطلق سراح زوجة ابنه الأخرى، فأقامت في بعض نواحي المدينة، فتزوجها رجل، وصارت ماشطة بنت فرعون، ولا نعرف كيف تحول الملك إلى فرعون، وما دَخْل الخضر، وإلياس بابنة فرعون، وماشطتها، ومن العجيب أن يروي الثعلبي هذه القصة متداخلة مع قصة الإسراء والمعراج، ونترك نقلها خشية الملل.

*** لقاءات مزعومة بين الخضر وإلياس.**

تحدد الروايات الثلاث التالية مواعيد اللقاءات الدورية بين الخضر، وإلياس عليهما

١ رواه ابن عساكر، عن السدي ٥: ١٥١، والألوسي في روح المعاني ٥: ٣١٩، وابن كثير في البداية ١: ٣٠٨.

Upload by : altawhedmag.com

السلام، ويرويها جميعا ابن عساكر بثلاث أسانيد مختلفة تلتقي في طريق واحد، عن عبد العزيز بن أبي رواد، وهو متهم بالكذب، كما قرر علماء الجرح والتعديل[١]، وتروي هذه الأخبار تلك الصحبة العجيبة بين الخضر، وإلياس عليهما السلام تحدد أولى هذه الروايات معدل اللقاء، فتقول:

- "الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويوافيان الموسم في كل عام"[٢].

درجة الحديث: هذا إسناد ضعيف.

- وتحدد الرواية الثانية شرابهما طوال العام، فتقول: "إن إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويحجان في كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة، تكفيهما إلى مثلها من قابل -أي العام القادم-"[٣].

درجة الحديث: وهذا إسناد معضل.

- وتحدد رواية ثالثة ما يفطران عليه طوال شهر رمضان المبارك، فتقول: "يجتمع الخضر وإلياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله إلى آخره، ويفطران على الكرفس، ويوافيان الموسم كل عام"[٤].

درجة الحديث: ضعيف، وإسناده معضل.

- وفي رواية أخرى: "أن الخضر في البحر، واليسع في البر، يجتمعان كل يوم عند الردم

---

١ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥: ١٥٦ من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى الخشني، عن عبد العزيز بن أبي رواد ميمون، ويعلق بقوله: ابن أبي رواد كذاب، وذكره البخاري في كتابه الضعفاء الصغير ٢٢٢، وذكره الحافظ الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٣٧٣٤، وقال ابن الجنيد: كان ضعيفا، وأحاديثه منكرات، وقال الجوزجاني: كان غاليا في الإرجاء، (راجع تهذيب التهذيب ٦: ٣٠٢ ترجمة رقم ٦٥٣)، وقال ابن حبان: "لا يحتج بعبد العزيز". والحديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على الزهد، وهو حديث معضل.

٢ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥: ١٥٦ من طريق علي بن الحسين بن ثابت الدوري، عن هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى الخشني، عن عبد العزيز بن أبي رواد ميمون.

٣ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥: ١٥٦، من طريق هشام بن خالد، عن الحسن بن يحيى الخشني، عن عبد العزيز بن أبي رواد ميمون، ويعلق بقوله: والحديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على الزهد.

٤ رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على الزهد، عن مهدي بن جعفر، عن ضمرة، عن السري بن يحيى، عن عبد العزيز بن أبي رواد، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: هو حديث معضل (٢٧).

Upload by : altawhedmag.com

الذي بناه ذو القرنين بين الناس، ويأجوج ومأجوج، ويحجان، ويعتمران كل عام، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل".

درجة الحديث: وهذا حديث واهٍ، وقيل موضوع، وقالوا: إسناده ضعيف جدا، وفي رواته متروكان[١].

- ويروي الثعلبي: "الخضر من ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل، يلتقيان في كل عام في الموسم"[٢].
- وروى أيضا، عن عمرو بن دينار، قوله: "إن الخضر وإلياس لا يزالان حيين في الأرض، ما دام القرآن فيها، وإذا رُفِع القرآن ماتا"[٣]. درجة الحديث: أورد العلامة السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة قصة اجتماع الخضر، وإلياس عليهما السلام، وعلق عليها بقوله: "إلى غير ذلك مما هو ضعيف كله: مرفوعه وغيره، ولا يثبت منه شيء"[٤].

* أين يقيم الخضر وإلياس الآن؟

يا ترى أين يقيم حاليا الخضر، وإلياس في ظن من يؤمنون بحياتهم؟ هذا ما يخبر به هذا الحديث الموضوع، عن رسول الله ﷺ، قال: "يجتمع البري والبحري إلياس والخضر كل

---

١ قال الحارث بن أبي أسامة في مسنده: حدثنا عبد الرحيم بن واقد، حدثني محمد بن بهرام، حدثنا أبان، عن أنس، يعقب ابن حجر العسقلاني بقوله: عبد الرحيم، وأبان متروكان، وإسناده ضعيف جدا، وربما كان من الموضوعات على أنس، فإن أبانا كان يسمع كلام الحسن، فيرفعه عن أنس، عن النبي ﷺ. الإصابة ١: ٤٣٦، وأبان هو ابن أبي عياش، قال عنه أحمد: "متروك الحديث". وقال يحيى بن معين: "متروك"، وقال مرة: "ضعيف"، وذكره البخاري في الضعفاء الصغير ٣٢، وأورده السخاوي في المقاصد، وقال عنه: "واهٍ، واعتقاد هؤلاء أن الخضر في البحر، ربما استفادوه من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾".

٢ رواه الثعلبي في العرائس ٢٢٤ عن محمد بن المتوكل، عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار، ومحمد بن المتوكل هو ابن أبي السري العسقلاني من الطبقة العاشرة، ذكره المغني في الضعفاء ٥٩٣٨، وقال: "صدوق"، وقال أبو حاتم: "لين، وهو صدوق عارف له أوهام كثيرة".

٣ رواه الثعلبي في العرائس ٢٢٤، عن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرنا: يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي، وأخبرنا علي بن المنذر، عن سفيان بن عيينة، عن عمر بن دينار، قال: وأحمد بن محمد بن يعقوب هو أبو بكر الفارسي الوراق الكاغدي، قال ابن أبي الفوارس: ضعيف جدا فيما يدعي عن ابن منيع، وكان رديء المذهب أيضا. المذهبي في الميزان ١: ١٥٣ ترجمة رقم ٦٠٦".

٤ السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة حديث ٢٧ ص ٦٢

Upload by : altawhedmag.com

عام بمكة"، ويروى عن الحسن البصري، أنه قال: "وُكِّلَ إلياس بالفيافي، والخضر بالبحور، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى، وإنهما يجتمعان في موسم كل عام"[١].

- وفي رواية عن كعب الأحبار: "أن الخضر على منبر من نور في البحر".
- ويروى عن ابن عباس[٢]. تفصيلات أكثر عن هذا اللقاء، جاء فيها: "يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات:

بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله

١ السخاوي في المقاصد الحسنة حديث رقم ٢٧، وعلق بقوله: "وهو ضعيف كله، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى من طريق أحمد بن عمار، عن محمد بن مهدي بن هلال، عن ابن جريج، ثم قال: وابن عمار متروك عند الدارقطني، ومهدي بن هلال مثله"، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة رقم ٤٧، والذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٣٨٧، وفي الميزان ترجمة رقم ٤٩٧. وقال ابن حبان مهدي بن هلال: "يروي الموضوعات"، وذكره البخاري في الضعفاء الصغير ٣٦٣، وقال: "قال يحيى بن سعيد: "مهدي غير ثقة"، وكذبه ابن معين، وقال عنه: "صاحب بدعة"، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٦٤٦٦، وقال: " تركوه وكذبه بعضهم".

وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: أصله رومي، نصراني أسلم على ما عنده من معارف مسيحية، وأخبار إسرائيلية، ومن العلماء من وثقه، ومنهم من اتهمه بالتدليس: قال الدارقطني: تجنب تدليس ابن جريج؛ فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح، وقال عنه أحمد بن حنبل: بعض الأحاديث التي يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان الإمام مالك يرى أن ابن جريج لا يبالي من أين أخذ الحديث؟ وقد روى عنه، أنه قال: ابن جريج محتطب بليل.

٢ الخبر مذكور في جزء المزكي شيخ الشافعي، وهو حديث لا يصح، وفي إسناده الحسن بن رزين ليس بشيء، كما أخرجه الدارقطني في الأفراد، قال: ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا محمد بن أحمد بن زيد، ثنا عمرو بن عاصم، ثنا الحسن بن رزين عن عطاء، عن ابن عباس لا أعلمه إلا مرفوعا، قال الدارقطني: لم يحدث به، عن ابن جريج غير الحسن بن رزين. قال أبو جعفر العقيلي في الضعفاء الكبير ١: ٢٢٤ لم يتابع عليه مسندا، ولا موقوفا، وهو مجهول في النقل، وحديثه غير محفوظ، قال الحافظ ابن المناوي: هو حديث واهٍ، الحسن بن رزين. وترجم الذهبي في الميزان، فقال:" الحسن بن رزين، عن ابن جريج، ليس بشيء، وهو منكر، والحسن فيه جهالة ١: ٤٩٠، وأورد ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى ١: ١٩٥، وروى ابن عساكر نحوه من طريق علي بن الحسن الجهضمي، وهو كذاب، عن ضمرة بن حبيب المقدسي، عن أبيه، عن العلاء بن زياد القشيري، عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب مرفوعا، قال: يجتمع كل يوم عرفة بعرفات: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، والخضر، وذكر حديثا موضوعا فيه عدة مجاهيل لا يعرفون، تركنا إيراده قصدا، يعلق السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٦٢ عن طرق هذا الحديث، عن مهدي بن هلال، وعن ابن جريج، بقوله: "وهو منكر من الوجهين، وثانيها أشد وهيا"، ومهدي كان يضع الأحاديث، وأورده الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة ١: ٢٣٥.

Upload by : altawhedmag.com

بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله

بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله

بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله".[١]

- وقال ابن عباس: "من قالهن حين يصبح، وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الغرق، والحرق، والسرق، قال: ومن الشيطان، والسلطان، والحية، والعقرب"

درجة الحديث: واهٍ شديد الوهن، منكر من وجهيه، ذكره العلماء في الموضوعات.

وتعليقنا على هذه الغرائب، أنها تضم متناقضات عجيبة: إذ كيف يعيش الخضر في البحر، وإلياس في البر، ثم يجتمعان يوميا عند الردم، كما ورد في الروايات السابقة، وما دورهما وأهمية وجودهما يوميا عند الردم؟! ومع هذا يتركانه طوال شهر رمضان، ويعتكفان في بيت المقدس، ولا نعرف إن كانا لا يزالان يعتكفان فيه بعد احتلاله، ومحاولات حرقه من الصهاينة، أم تراهم انتقلوا إلى مسجد آخر!، ثم ما حكمة اعتكافهما في بيت المقدس دون بيت الله الحرام؟ ولا زلنا لا نفهم سر الكرفس الذي لا يفطران إلا عليه؟ وسر مخالفتهم لسنة رسول الله ﷺ في كل شيء حتى في الإفطار..!

وبرغم كثرة قصص عين الحياة، وحكايات دفن آدم عليه السلام التي يروج لها من تستهويه غرائب الأمور إلا أننا لم نجد رواية واحدة، تشرح لنا سبب تعمير إلياس عليه السلام، بل وتجعل الخضر وإلياس لا يكادان يفترقان.

*** مناقشة لقاءات الخضر وإلياس:**

ولا يفوتنا قبل أن ننتقل إلى موضوع آخر أن نعلق على هذه اللقاءات المزعومة بين العبد الصالح الخضر ونبي الله إلياس.

- كيف لا يحتمل موسى صحبة الخضر عليهما السلام، ويفارقه بعد ثلاث وقائع، ويستمر إلياس عليه السلام في صحبة دائمة للخضر، وإلى أن تقوم الساعة، ومع هذا لا يشير القرآن إلى هذه الخصوصية، فاحتمال إلياس أولى بالذكر من فراق الخضر لموسى عليهما السلام بعد ثلاث وقائع فقط.

---

١ هذا الدعاء يردده كثير من الصوفية في أورادهم، ويقول المشايخ لأتباعهم قصة افتراق الخضر وإلياس على هذا الدعاء، ومن هذه الطرق: الطريقة الخلوتية، العونية، العيونية.

Upload by : altawhedmag.com

- إلياس عليه السلام نبي مرسل بنص القرآن، فهل تقولون بنبوة الخضر؟
- ما مهمة إلياس الآن؟ هل نبي هو، أم ولي؟

إن من يقول بولايته عليه أن يدخل نفسه في سلسلة من التساؤلات:

- كيف تحول إلياس عليه السلام من النبوة إلى علم الباطن حتى صار كالخضر؟
- أين الدليل على رفع النبوة عنه؟ فإذا انعدم الدليل: فهل ما زال نبيا إلى الآن؟
- هل ما زال إلياس عليه السلام يبلغ شريعته إلى الناس حتى الآن؟
- أم تراه اتبع خاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات ربي، وسلامه عليه؟

إذا أجاب الباطني أن إلياس عليه السلام ما زال يبلغ رسالته إلى اليوم، فقد اقترف إثما كبيرا، وأوقعه جهله في مأزق عظيم، حيث أنكر ختام النبوة والرسالة بنبينا محمد ﷺ، وهذا كفر يحتاج إلى الاستتابة، والرجوع إلى الإسلام من جديد.

أما إذا أجاب: لقد ترك إلياس رسالته، واتبع سيدنا محمد ﷺ طالبناه بالدليل الصحيح على ذلك، ثم كيف شغل الباطنيون أنفسهم بلقاء الخضر، ومحمد ﷺ، ولم يرد خبر واحد، ولو ضعيف، أو حتى موضوع عن محاولة لقاء مماثل بين إلياس، ومحمد ﷺ، ثم أين لقاءات إلياس عليه السلام بالصحابة والصوفية؟ أم تراه ترك ذلك للخضر عليه السلام وحده؟ ثم كيف يترك البري - إلياس - لقاءات الناس إلى البحري -الخضر- ألم يكن من الأيسر أن يتبادل الخضر، وإلياس عليهما السلام أماكنهما في هذه القصص.

ثالثا: حياة الخضر بعد بعثة النبي ﷺ:

ينتشر في كتب الباطنية عامة، والصوفية خاصة روايات، وحكايات عن اجتماع المشايخ، والأقطاب بالخضر عليه السلام، ومن أكثر الصوفية تحمسا لهذه القصة ابن عربي، واليافعي، والدباغ، والسرهندي، والشعراني الذي وضع كتابا مخصوصا يروي فيه حكاياته عن حياة الخضر إلى زمانه، وقد سمى هذا الكتاب "الميزان الخضرية"، ذكر فيه أسماء المشايخ الذين التقوا بالخضر، وسنورد بعض هذه الروايات في حينها، بل إننا سنتتبع بتوفيق الله تعالى كل ما يتناول حياة الخضر عليه السلام، منذ بعثة النبي ﷺ إلى اليوم، وأيضا ما ورد حول لقاءات للخضر قبل يوم القيامة، ونقسم هذه الفترة الزمنية إلى المراحل الآتية:-

١. الخضر وخاتم النبيين.

Upload by : altawhedmag.com

٢. الخضر والصحابة.

٣. الخضر والتابعون.

٤. الخضر والإسرائيليات.

٥. الخضر والدجال.

وسنعرض أشهر الروايات المتناثرة هنا وهناك بين طيات الكتب المعتمدة عند الفرق الباطنية، والتي تعتبر أهم مصادر هذا الفكر الباطني، ونناقش طرق روايتها، وأسانيدها، وفق منهج المحدثين، أما الأقوال التي لا يعرف قائلها، ولا ترقى إلى مستوى النقد العلمي، فإنا نوردها، ثم نزن هذه الأقوال بميزان كتاب الله تبارك وتعالى، وسنة رسوله ﷺ، ونسوق أقوال علماء الأمة، وتقييمهم لتلك الروايات.

١. الخضر وخاتم النبيين:

يعتقد الصوفية والباطنية حياة الخضر إلى الآن، وقد يأمر بعضهم أتباعه أن يردوا السلام على الخضر، كلما ورد اسمه في مجالسهم، لأنه سيمر في سماع اسمه، ويُلقي السلام على الموجودين، فيسمعه الأولياء فقط، ويعتمد هؤلاء على روايات واهية عن لقاء مزعوم بين رسول الله ﷺ، والخضر عليهما السلام، نوردها فيما يلي:

● **الرواية الأولى: حديث عمرو بن عوف المزني.**

يروى عن عمرو بن عوف، أنه قال: "كان رسول الله ﷺ في المسجد، فسمع كلاما من ورائه، فإذا هو بقائل، يقول: اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني. فقال رسول الله ﷺ، حين سمع ذلك: ألا تضم إليها أختها؟. فقال الرجل: اللهم ارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه. فقال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك، وكان معه: اذهب يا أنس إليه، فقل له: يقول لك رسول الله: استغفر لي، فجاء أنس، فبلَّغه. فقال له الرجل: يا أنس، أنت رسولُ رسولِ الله ﷺ إليَّ؟ فقال: كما أنت، فرجع فاستَثْبَت، فقال ﷺ: قل له: نعم. فقال له: اذهب، فقل لرسول الله ﷺ: إن الله فضلك على الأنبياء، مثل ما فضل به رمضان على الشهور، وفضل أمتك على الأمم، مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام، فذهبوا ينظرون، فإذا هو الخضر

Upload by : altawhedmag.com

(١).

درجة الحديث: حديث باطل إسناده ضعيف.

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في عجالة المنتظر: "هذا حديث باطل، لا أصل له، ومن أقبح الموضوعات أن يكون الخضر قريبا من النبي ﷺ، ولا يكلمه، وقال أبو الحسين بن المنادي: هو حديث معلول بالوضاح وغيره"(٢)، وفي رواته متروك، والآخر ركن من أركان الكذب.

● **الرواية الثانية: حديث أنس بن مالك**(٣).

يروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: "خرجت مع النبي ﷺ في بعض الليالي، أحمل له الطهور، إذ سمع مناديا، فقال: يا أنس صه، وفي رواية أخرى: إن الخضر جاء ليلة، فسمعه النبي ﷺ، وهو يدعو، ويقول: اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني. قال رسول الله ﷺ: لو قال أختها معها، فكأن الرجل لُقِّن ما أراد النبي ﷺ، فقال: وارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه. فقال النبي ﷺ: يا أنس ضع الطهور، وائت هذا المنادي فقل له: ادعُ لرسول الله ﷺ أن يعينه على ما ابتعثه به، وادعُ لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحق.

---

١ أخرجه الحافظ ابن حجر وابن عدي في الكامل والبيهقي في الدلائل، وقال: إسناده ضعيف، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات بسنده إلى عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، ثم قال: هذا حديث باطل فيه عبد الله بن نافع، قال عنه يحيى بن معين: "ضعيف الحديث حديثه ليس بشيء"، وقال علي بن المديني: "يروي أحاديث منكرة". قال النسائي، والدارقطني: "هو متروك الحديث". وقال الكناني: "متروك"، وقال أبو حاتم وابن حبان: "عبد الله بن نافع متروك"، وذكره الذهبي في المغني، وقال: عن أبيه متروك. وفيه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، قال أحمد بن حنبل: "لا يحدث عنه"، وقال أيضا: "منكر الحديث، ليس بشيء"، وقال الشافعي: "هو ركن من أركان الكذب"، وذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين، وقال: "متروك الحديث ترجمة رقم ٥٠٤"، قال أبو زرعة: "واهي الحديث ليس بالقوي"، كما كذبه ابن حبان، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة رقم ٤٤٦، وقال أبو داود: "كذاب"، وقال أبو حاتم: "ليس بالمتين"، وقال ابن عدي: "عامة ما يرويه لا يتابع عليه". ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ١٥٥٥، قال أبو حاتم، وابن حبان: روى عن أبيه، عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب، ذكره الكناني في تنزيه الشريعة ١: ١٣٣، وقال فيه كثير بن عبد الله حفيد عمرو راوي الحديث وله نسخة موضوعة عن أبيه، عن جده،

٢ تاريخ دمشق لابن عساكر ٥:١٥٤

٣ المنار المنيف لابن القيم ١٢٩، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١: ١٦٤، والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة حديث ٧١ ص ٤٩٥

Upload by : altawhedmag.com

قال: فأتيته، فقلت له: رحمك الله، ادعُ لرسول الله ﷺ، أن يعينه على ما ابتعثه به، وادعُ لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحق، فقال: من أرسلك؟، فكرهت أن أخبره، ولم أستأمر رسول الله ﷺ، فقلت: رحمك الله وما يضيرك من أرسلني، ادعُ بما قلت لك، فقال: لا، أو تخبرني بمن أرسلك، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أبى أن يدعو بما قلت له حتى أخبره بمن أرسلني. فقال: ارجع إليه، فقل له: أنا رسولُ رسولِ الله، فرجعت إليه، فقلت له، فقال: مرحبا برسول الله ورسوله، أنا كنت أحق أن آتيه، اقرأ على رسول الله مني السلام، وقل له: يا رسول الله، الخضر يقرأ عليك السلام، ورحمة الله، ويقول لك: يا رسول الله، إن الله فضلك على الأنبياء، كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل أمتك على الأمم كما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام. قال: فلما وليت سمعته، يقول: اللهم اجعلني من هذه الأمة المرحومة المتاب عليها"[1].

درجة الحديث: يحدد المحدثون درجة هذا الحديث بقولهم:

٢. يقول الحسين بن المنادي: "إن أهل الحديث متفقون على أن هذا الحديث منكر الإسناد، سقيم المتن، يتبين فيه أثر الصنعة".

٣. يعلق ابن كثير في تاريخه بقوله: "الحديث مكذوب، ولا يصح سندا، ولا متنا، كيف يتمثل بين يدي رسول الله ﷺ، ولا يجيء بنفسه مسلما ومتعلما؟".

٤. قال ابن الجوزي في عجالة المنتظر: "هذا حديث باطل، لا أصل له، ومن أقبح الموضوعات أن يكون الخضر قريبا من النبي ﷺ، ولا يكلمه".

---

١ روى ابن شاهين، والدارقطني في الأفراد من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري، وهو أبو سلمة: "وهو واهي الحديث جدا". وليس هو شيخ البخاري قاضي البصرة ذاك ثقة، وهو أقدم من أبي سلمة، يقول الكناني: "أبو سلمة متهم بالوضع والكذب"، ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ١٦٥١، وقال: "منكر الحديث"، وفي المجروحين، قال: "منكر الحديث جدا، يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، ولا يجوز الاحتجاج به بحال، وقال عنه ابن حبان: "منكر الحديث جدا، وقال محمد بن طاهر: هو كذاب، وله طامات، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٥٦٨٢. ورواه ابن المنادي، والطبراني في الأوسط، وابن عساكر في تاريخه من طريق محمد بن سلام المنبجي، عن وضاح بن عباد الكوفي، عن عاصم بن سليمان الأحول، عن أنس بن مالك. وفي طريق ابن عساكر أبي داود والظاهر، أنه النخعي سليمان بن عمرو الكذاب الوضاع، ذكره البخاري في الضعفاء الصغير ترجمة رقم ٢٦١٠، وقال: وكان يكذب"، وقال النسائي في الضعفاء والمتروكين: أبو داود "متروك الحديث"، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة رقم ٢٥٦، ووضاح بن عباد ذكره [illegible] "كما قال أحمد بن المنادي".

Upload by : altawhedmag.com

٥. يقول ابن القيم في المنار المنيف: "الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح منها حديث واحد"[١].

٦. حكم عليه السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة بالوضع.

٧. ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.

٨. كما أخرجه الحافظ ابن الجوزي بمعناه، عن ابن عمر، وقال هذا حديث محال، ورواته وَضَّاعون.

٩. وأخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة بروايات متعددة، وطعن فيها، وزيفها جميعها، وحكم عليها بالوضع، وكذلك حكم بوضعه ابن دحية"[٢].

ولا شك أن أقوال هؤلاء العلماء تقطع باختلاق قصة اللقاء المزعوم.

١. عزاء الخضر في وفاة النبي ﷺ:

وردت عدة روايات تحكي كيف جاء الخضر عليه السلام - مرة بلحمه وشحمه، ومرة أخرى يسمع الناس صوته، ولا يرونه - لما علم وفاة رسول الله ﷺ؛ ليقدم العزاء لآل بيت رسول الله ﷺ. نورد هذه الروايات فيما يلي:

● **الرواية الأولى**: رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه[٣]

روى ابن أبي الدنيا، والبيهقي، والطبراني في الأوسط، عن أنس رضي الله عنه، أنه

---

١ ابن القيم في المنار المنيف.

٢ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥: ١٥٥

٣ رواه ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط، عن موسى بن أبي هارون عن كامل. ورواه البيهقي، عن أبي عبد الله الحافظ، عن أبي بكر بن بالويه، عن محمد بن بشر بن مطر، عن كامل بن طلحة، وقد اجتمعت هذه الأسانيد في طريق واحد، عن كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك، وقال أبو حاتم، وغيره عن كامل بن طلحة الجحدري: "لا بأس به"، وقال أبو داود: "رميت بكتبه"، وقال يحيى بن معين: "ليس بشيء".

أما عباد بن عبد الصمد أبو معمر فيعقب البيهقي عليه بقوله: "وعباد بن عبد الصمد ضعيف، والحديث: "منكر بمرة"، ووهاه [أي ضعفه] ابن حبان، وروى له العقيلي حديثا، وعلق عليه بقوله: "فذكر حديثا طويلا يشبه وضع القصاص"، ويصف البخاري عبادا بقوله: "منكر الحديث". وقال أبو حاتم: "ضعيف الحديث جدا ننكره"، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء رقم ٣٠٤٣، وقال أبو حاتم وغيره: "ضعيف جدا"، وترجم له في الميزان رقم ٤١٢٨، وقال: "بصري واه، وقال ابن عدي في الكامل: عامة ما يرويه في فضائل علي، وهو ضعيف غال في التشيع".

Upload by : altawhedmag.com

قال: "إنه لما قُبِضَ رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل أشعر طويل المنكبين في إزار ورداء، يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ، حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى، ثم أقبل على أصحابه، فقال: "إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعوضا من كل ما فات، وخلفا من كل هالك، فإلى الله، فأنيبوا، وبنظره إليكم في البلاء، فانظروا، فإنما المصاب من لم يُجْزِ الثواب، ثم ذهب الرجل، فقال أبو بكر: عليَّ بالرجل، فنظروا يمينا وشمالا، فلم يروا أحدا، فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه ﷺ.

درجة الحديث: ضعيف جدا، وقيل واهٍ، ومنكر بِمَرَّة - أي جدًا - ومن رجاله من ليس بشيء، ومنكر الحديث، وغالٍ في التشيع.

● **الرواية الثانية**: خبر مرسل عن علي بن الحسين رضي الله عنهما.

يروى عن علي بن الحسين، أنه قال: "لما توفي رسول الله ﷺ، وجاءت التعزية، سمعوا قائلا، يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله ثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرِم الثواب"[1].

درجة الحديث: موضوع، وفي رواته وَضَّاعون، وهو مرسل، لا يعتمد عليه.

● **الرواية الثالثة**: خبر مرسل، عن جعفر الصادق رضي الله عنه

روى ابن أبي حاتم نفس الخبر السابق، قال: "لما تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ جاءهم آتٍ - يسمعون حسه، ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت، ورحمة الله، وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته"، قال جعفر بن محمد - الصادق -: أخبرني

---

١ رواه القاسم بن عبد الله بن عمر، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، قال: لما توفي... الخبر، ويعقب الشافعي قائلا: "والقاسم العمري متروك"، وهذا الحديث مرسل، ومثله لا يعتمد عليه". والقاسم بن عبد الله بن عمر متروك، رماه أحمد بالكذب، وقال: "كان يضع الحديث، ترك الناس حديثه، وقال عنه يحيى بن معين: "ضعيف ليس بشيء، وقال أبو حاتم وسعيد بن أبي مريم، والنسائي: متروك الحديث، وقال أبو زرعة: "ضعيف لا يساوي شيئا متروك الحديث، منكر الحديث، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة رقم ٤٣٩، وقال: "ضعيف كثير الخطأ"، وقال علي بن المديني: ليس بشيء، وقال يعقوب بن سفيان: "متروك مهجور"، وقال العجلي، والأزدي: متروك الحديث، راجع تهذيب التهذيب ٥٨٠ - ٨:٢٨٧، وذكره الحافظ الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٤٩٩٢، ويقول ابن الجوزي: "هذا حديث محال، ورواته وضاعون".

Upload by : altawhedmag.com

أبي، أن علي بن أبي طالب، قال: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام[١].

درجة الحديث: موضوع.

مناقشة مضمون هذه الروايات رغم ضعف هذه الروايات التي قرر العلماء أنها موضوعة مكذوبة، إلا أننا سنتأملها قليلا؛ لنعرف ما ترمى إليه، نجد أن مضمونها يناقض ما سبقها من روايات، فمن الغريب حقا أن يمنع الخضر نفسه من شرف لقاء رسول الله ﷺ، وقد أصبح على بعد خطوات منه، وفق ما جاء في رواية أنس وعمرو بن عوف، ثم يسعى لتقديم العزاء إلى آل بيت النبي ﷺ، ويا ليته اكتفى بالعزاء فقط، بل دخل البيت، ووقف على بابه، لعله يلقي نظرة وداع على النبي ﷺ بعد وفاته.

٢. الخضر والصحابة:

أشارت الروايات إلى لقائين بين الخضر والصحابة أولهما: مع عمر بن الخطاب، وثانيهما: مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

* الخضر والفاروق عمر:

ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ، قال: ﴿خلق الله آدم، وطوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن﴾[٢]، هذا الحديث الشريف لم يكن خافيا على من قال بحياة الخضر عليه السلام من لدن آدم إلى يوم القيامة، وهو يسبب لمن يزعمون لقاءه كثيرا من الحرج، فهل رأوه عملاقا، أم في حجمهم؟

ويروي ابن عساكر[٣]، قال: "بينما عمر بن الخطاب يصلي على جنازة إذا بهاتف يهتف من

---

١ أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة بروايات متعددة، وطعن فيها، وزيَّفها جميعا، وحكم عليها بالوضع، وكذلك حكم بوضعه ابن دحية (راجع تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥:١٥٥). واستشهد بهذا الخبر الشيخ عبد الرحمن حسن محمود محقق كتاب الميزان الخضرية للشعراني

٢ متفق عليه أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ٣٠٧٩، ومسلم في صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٤١، وأحمد في مسنده.

٣ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥: ١٥٥ عن عبد الله بن وهب، عمن حدثه، عن محمد بن عجلان، عن محمد بن المنكدر...، وقال: "وهذا حديث مقطوع (أي معضل في اصطلاح المحدثين)، وفي إسناده ابن عجلان، والراوي عنه لا يعرف، فهو (أي الحديث) شبه لا شيء". ورواه ابن شاهين في كتاب الجنائز، قال: حدثنا ابن أبي داود، حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح، حدثنا عبد الله بن وهب (هو ابن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري)، بنفس الإسناد السابق، وقال ابن الجوزي: "فيه مجهول،وانقطاع بين=

Upload by : altawhedmag.com

خلفه: لا تسبقنا بالصلاة يرحمك الله، فانتظره حتى لحق بالصف الأول، فكبر عمر، وكبر الناس معه، فقال الهاتف: إن تعذبه فكثيرا عصاك، وإن تغفر له ففقير إلى رحمتك، فنظر عمر، وأصحابه إلى الرجل، فلما دُفِنَ الميت، وسوي به التراب، قال: طوبى لك، يا صاحب القبر لم تكن عريفا، ولا جابيا، أو خازنا، أو كاتبا، أو شرطيا، فقال عمر: خذوا لي الرجل نسأله عن صلاته، وكلامه هذا عمن هو؟ فتوارى عنهم، فنظروا، فإذا أثر قدميه ذراع! فقال عمر: هذا والله الذي حدثنا عنه النبي ﷺ.

يقول الألوسي [1]، وهذا الخبر لا نسلم بصحته، والاستدلال به مبني على أنه عني بالمتحدث عنه الخضر.

درجة الحديث: مُعْضَل[2]، وفي رواته مجهول وانقطاع، ولا يصح بالإضافة إلى قول ابن عساكر أن هذا الأثر شِبْه لا شيء

نقول: إن القصة كلها تناقضات، ففي أولها سمعوا صوتا يطلب تأخير الصلاة، حتى لحق بالصف الأول، ولما صلى معهم لم يشعر أحد باختلاف هيئته عنهم، ثم بعد الصلاة ينظر عمر، والناس معه إلى الرجل دون أي دهشة، أو تعجب من ضخامة جسمه، ثم سمعوه يتحدث حديثا لفت أنظار الفاروق إليه، فطلبه عمر، فتوارى عنهم، فإذا أثر قدمه ذراع، أي أربع أضعاف طول أقدامهم، ولا نعرف: هل ترمي القصة إلى أن الخضر يتشكل؟ فمرة يصلي معهم بحجمهم، ثم يختفي تاركا لهم أثرا عملاقا، أم أن عملاقا صلى معهم، ونظروا إليه، وسمعوه دون أن يدركوا حجمه؟ وبالتالي كان لا بد من أثر قدمه، ثم هناك جرأة في الكذب على عمر بن الخطاب، حيث يقسم بالله مؤكدا نسبة الرجل إلى حديثٍ سَمِعَه عمر، عن رسول الله ﷺ، والعجيب أننا لا نجد إشارة إلى هذا الحديث في سنة رسول الله ﷺ سواء يَرْوِيه عمر، أو أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحد من مصنفي الحديث، وبرغم أن الخبر ليس

=ابن المنكدر وعمر بن الخطاب، راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١: ٤٤١، ويعلق ابن كثير في البداية النهاية بقوله: "هذا أثر فيه مبهم وفيه انقطاع، ولا يصح ١: ٣١٠.

١. روح المعاني في تفسير القرآن للعلامة الألوسي البغدادي ٥: ٣٢٦

٢. حديث معضل لسقوط اثنان من رواته، أو أكثر، وفي هذا الإسناد مجهول من حدث عبد الله بن وهب، وأيضا هناك راوٍ سقط في السند بين محمد بن المنكدر، وعمر بن الخطاب، ويعد هذا النوع من السند من أوهن أنواع ضعف الإسناد.

Upload by : altawhedmag.com

فيه تصريح بالخضر إلا أن القُصَّاص يروونه، ولا يقصدون به إلا هو.

* الخضر وعلي بن أبي طالب:

نقل ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى رواية، عن علي بن أبي طالب، أنه قال:[1] "بينا أنا أطوف بالبيت إذا برجل متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا تغلطه المسائل، ويا من لا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا مسألة السائلين، أذقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك، قلت: يا عبد الله، أعد الكلام، قال: أَوَسمعته؟ قلت: نعم، قال: والذي نفس الخضر بيده، هؤلاء لا يقولهن عبد دبر الصلاة المكتوبة إلا غفر الله ذنوبه، وإن كانت مثل رمل عالج، وعدد المطر، وورق الشجر".

درجة الحديث: وصف العلماء هذا الحديث بأنه "موضوع - لا يصح - ضعيف، ومنقطع، وفيه مجهول"، ومتروك، ومُنْكَر الحديث.

٣. الخضر والتابعون.

* الخضر وعمر بن عبد العزيز:

يبدو أن اللقاء بينهما لم يكن واحدا؛ فاللقاء الأول: يرويه الدينوري في المجالسة بقوله: قال عمر بن عبد العزيز: "رأيت الخضر، وهو يمشي مشيا سريعا، وهو يقول: صبرا، يا نفس

---

١ رواه ابن الجوزي بسنده إلى الثوري، عن عبد الله بن محرز، عن يزيد بن الأصم، عن علي بن أبي طالب، وقال: "هذا حديث لا يصح"، ومحمد بن الهروي "مجهول"، وابن محرز "متروك"، قال أحمد بن حنبل: "ترك الناس حديثه"، قال ابن المنادي: لقيته، وكانت بعرة أحب إلي منه"، قال يحيى بن معين: "ضعيف ليس بثقة"، قال البخاري: "منكر الحديث"، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ٨٩٢، وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: "ما نصنع بحديثه، وهو ضعيف"، وقال أبو حاتم: "منكر الحديث ترك حديثه ابن المبارك"، قال أبو زرعة: "ضعيف الحديث"، وقال الدارقطني: "متروك الحديث"، وكذا قال النسائي"، وقال مرة: "ليس بثقة، ولا يكتب حديثه"، قال ابن كثير: "هذا حديث ضعيف من جهة عبد الله بن محرز؛ فإنه متروك الحديث، ويزيد لم يدرك عليا، ومثل هذا لا يصح، والله أعلم".

ورواه ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا صالح بن أبي الأسود، عن محفوظ بن عبد الله، عن شيخ من حضرموت، عن محمد بن يحيى، قال: قال علي بن أبي طالب: بنحوه، وهذه رواية عن مجهول، وأورده ابن الجوزي، وقال: "وهذا إسناد مجهول منقطع، وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر"، ورواه الترمذي، عن مالك بن إسماعيل، عن صالح بن أبي الأسود، عن محفوظ بن عبد الله الحضرمي، عن محمد بن يحيى، وقال: "وهذا حديث منقطع، وفي إسناده من لا يعرف، والله أعلم". وأورده الكناني في تنزيه الشريعة ١: ٢٣٥، ورواه ابن عساكر من طريق الدينوري صاحب المجالسة، وقد اتهمه الدارقطني بالوضع، وقد روي من وجه آخر ضعيف، عن جعفر بن محمد الباقر، عن أبيه، عن جده.

Upload by : altawhedmag.com

صبرا، لأيام تنفد، لِتِلْك أيام الأبد، صبرا لأيام قصار، لتلك الأيام الطوال"[١].

درجة الأثر: وهذا أثر موضوع.

ويروي اللقاء الثاني يعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه عن رياح بن عَبِيدة، قال: "رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز، معتمدا على يده، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جاف، فلما صلى، قلت: يا أبا حفص من الرجل الذي معك معتمدا على يدك آنفا؟ قال: وقد رأيته، يا رياح؟ قلت: نعم، قال: إني لأراك رجلا صالحا، ذاك أخي الخضر، بشرني أني سألي، فأعدل"[٢].

درجة الأثر: ضعيف، في رواته مجروحان.

*** الخضر وعبد الملك بن مروان:**

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق: "إن عبد الملك بن مروان أحب أن يتعبد ليلة في المسجد، فأمر القَوَمة أن يخلوه له، ففعلوا، فلما كان من الليل جاء من باب الساعات، فدخل الجامع، فإذا رجل قائم يصلي بينه وباب الخضراء، فقال للقومة: ألم آمركم أن تخلوه، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا الخضر يجيء كل ليلة يصلي ههنا"[٣].

وتعليقنا أن هذه القصة مبتورة، ولو كانت صحيحة للزمها تتمة، تشرح لنا ماذا فعل عبد الملك بن مروان حينما جمعته هذه الرواية فجأة مع الخضر عليه السلام، فلا بد أن تكون زيارة الخضر لها سبب وثمرة، ثم كيف يعرف قوام المسجد أن هذا الرجل هو الخضر عليه

---

١ رواه ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى ١:١٩٩

٢ رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه، قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي، حدثنا ضمرة هو ابن ربيعة، عن السري بن يحيى، عن رياح بن عبيدة..، وقال: الرملي مجروح عند العلماء، ذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٥٧٦٩، وهو "صدوق يهم" [أي يتوهم]. وقال عنه أبو زرعة: " ليس بالقوي "، وقال أبو حاتم: " أدركته، ولم يقض لي السماع منه كان عنده غرائب، ولم يكن عندهم بالمحمود، وهو إلى الضعف ما هو " (راجع تهذيب التهذيب ٩: ٢٧٨ ترجمة رقم ٥١٧)، ونقله عنه ابن حجر في الإصابة ١: ٤٤٦، وابن كثير في البداية ١: ٣١١، كما ذكره الحافظ الذهبي في لسان الميزان ضمن ترجمة السري بن يحيى بن إياس رقم ٣٠٩٣، وقد قدح ابن المنادي في ضمرة، والسري، ورياح بينما وثّق السري كل من: أحمد، ويحيى بن سعيد، وابن عبد البر، وابن شاهين، وقال عنه أبو حاتم:" صدوق، لا بأس به، صالح الحديث"، وذكره الأزدي في الضعفاء، وقال: "حديثه نكر". والله أعلم".

٣ يعلل ابن عساكر قول قيم المسجد عن الخضر بقوله: لا دليل في هذه القصة لاحتمال أن يكون قيم المسجد كان نائما فيه، فكذب على الوليد؛ حتى لا يبطش بهم وبه ٥:١٤٦.

Upload by : altawhedmag.com

السلام؟ هل أخبرهم عن نفسه، أم اكتشفوا هم أمره؟ وكيف كان ذلك؟ وكيف أخفوا خبرا كهذا عن أمير المؤمنين حتى يصادفه بنفسه؟ كما نلاحظ أن هذه القصة لم تتطرق لضخامة الخضر عليه السلام، بخلاف حكاية الخضر عليه السلام مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٤. الخضر والإسرائيليات:

رغم تحذير النبي ﷺ لأمته بقوله: ﴿لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء﴾[١] إلا أن الروايات المنقولة عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، كثرت في المصادر الإسلامية، ويعلق على ذلك الحافظ ابن كثير بقوله: "والأقرب في مثل هذه السياقات، أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب، سامحهما الله تعالى، فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد، والغرائب، والعجائب، مما كان، ومما لم يكن، ومما حُرِّف، وبُدِّل، ونُسخ، وقد أغنانا الله بما هو أصح منه، وأنفع، وأوضح، وأبلغ، ولله الحمد، والمنة"،[٢] كما روى مسلم بن الحجاج بسنده إلى بشر بن سعيد، أنه قال: "اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله ﷺ، وكعب الأحبار، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ، عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ"، وفي رواية: "يجعل ما قاله كعب، عن رسول الله ﷺ، وما قاله رسول الله ﷺ، عن كعب، فاتقوا الله، وتحفظوا في الحديث".[٣] وقد لاحظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثرة روايات كعب الأحبار عن أهل الكتاب، فاستدعاه، وقال له: "ولتتركن الأحاديث عن الأول، أو لألحقنك بأرض القردة"،[٤]

وقد سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، أن كعب الأحبار، يحدث رهطا من قريش عن أهل الكتاب، عن كعب، فقال: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا لنبلو مع ذلك عليه الكذب".[٥] ويروي ابن جرير الطبري، أن كعب الأحبار جاء إلى عمر بن الخطاب، قبل مقتله بثلاثة أيام، قال له: اعهد؛

---

١ رواه البخاري في صحيحه تعليقا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وخصص له بابا بنفس الاسم، ووصله أحمد

٢ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، تفسير سورة النمل

٣ ابن كثير في البداية والنهاية ٨:١٠٩

٤ أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه ١:٥٤٤، وابن كثير في البداية والنهاية ٨:١٠٨

٥ رواه البخاري في صحيحه تعليقا في الاعتصام بالكتاب والسنة، عن معاوية بن أبي سفيان، ورواه موصولا في التاريخ الصغير.

Upload by : altawhedmag.com

فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله ﷻ في التوراة، قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ قال: اللهم لا، ولكن أجد صفتك، وحليتك، وأنه قد فني أجلك". يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام: وهذه القصة إن صحت دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر، ثم وضعها في هذه الصيغة الإسرائيلية"، وينسب إلى كعب الأحبار، أنه كان المدبر الحقيقي لقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه أظهر الإسلام لينال منه. وخلاصة قول العلماء أن ما يحكيه كعب الأحبار، وغيره، عن أهل الكتاب، والكتب القديمة ليس بحجة عند أحد من أهل العلم، كما أنه ليس كل ما نسب إليه في الكتب بثابت عنه؛ فإن الكذابين من بعده، قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يَقُلْها".[1] ومع تحذير النبي ﷺ، وعمر، ومعاوية رضي الله عنهما، فلا يستطيع الباحث أن يتتبع الآثار الإسرائيلية التي ملأت الكتب، أو يستقصي الأخبار التي وردت، عمن يرون أن الخضر عليه السلام حي إلى أن تقوم الساعة، وإنما سنضرب مثالين فقط:-

الرواية الأولى: عن كعب الأحبار.

الذي يقول: "الخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى، والبحر الأسفل، وقد أمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع، وتعرض عليه الأرواح غدوة وعشية".[2]

درجة الأثر: أثر ضعيف، فيه متهم، ليس بشيء، ومنكر الحديث، ومن في حديثه اضطراب. كما تضفي هذه الرواية على الخضر مقام الألوهية لما يلي:

١ - الخضر على منبر من نور تُعرض الأرواح عليه صباحا ومساء.

٢ - وبيده مقاليد دواب البحر، ولا نعرف أدواب البحر الأعلى، أم الأسفل هي التي

---

١ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ترجمة كعب بن ماتع الحميري رقم ١١١ جزء ٣ صفحة ٤٩٠

٢ أورده الألوسي في روح المعاني ٥: ٣١٩، وأبو نعيم في الحلية ٦: ٧ من طريق أبي صالح كاتب الليث، عن يحيى بن أيوب، عن خالد بن يزيد، عن كعب الأحبار، وأبو صالح هو عبد الله بن صالح بن مسلم الجهني، قال صالح بن محمد: "كان يحيى بن معين يوثقه، وعندي أنه كان يكذب في الحديث"، وقال ابن المديني: "ضربت على حديثه، وما أروي عنه شيئا"، وقال أحمد بن صالح: "متهم ليس بشيء"، وقال النسائي: "ليس بثقة"، وقال عنه أحمد: كان أول أمره متماسكا، ثم فسد بآخره، وليس منه بشيء"، ويحيى بن أيوب هو العباس المصري، قال عنه أحمد بن حنبل: سيء الحفظ، يخطئ خطأ كثيرا"، وقال عنه النسائي في الضعفاء والمتروكين: "ليس بذاك القوي" راجع صفحة ٢٤٠ ترجمة رقم ٦٢٦، وقال مرة: "ليس به بأس"، وقال ابن سعد: "منكر الحديث"، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ترجمة ٢٠١١، وقال الدارقطني: "في بعض حديثه اضطراب". والخبر ينتهي إلى كعب الأحبار، يرويه عن اليهود.

Upload by : altawhedmag.com

أمرت بطاعة الخضر عليه السلام، ولا يخفى أن هذا العرض يتبعه قرارات، والغريب أن تزعم هذه الروايات أن منبر الخضر بين البحرين.

٣- ودواب البحر تسمع له وتطيع، ولا نعلم لها طاعة إلا لله رب العالمين.

ثم أي منبر هذا الذي يجلس عليه الخضر؟ ولم تخصص مكان الخضر، وارتبط بالبحر؟! ربما كف الباطنيون عن مزاعمهم هذه لو علموا ما يرويه جابر، عن النبي ﷺ، حيث يقول: «إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه، فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة»، وسنعرض من قصص الصوفية تفصيلا عن مهام يقوم بها السمك لخدمة الخضر.

الرواية الثانية: عن كعب الأحبار أيضا.

قال: "خرج الخضر بن عاميل إلى بحر السهركند، وهو بحر الصين، فقال لأصحابه: دَلُّوني - أي أنزلوني- في هذا البحر؛ فإني أحب أن أعرف ما عمقه؟ فدَلَّوه أياما وليالٍ، ثم خرج، فقال: استقبلني ملك من الملائكة، فقال: يا أيها الآدمي الخَطي -وفي رواية الخطاء- إلى أين؟، وأين تريد؟، قال: قلت: أريد أن أعرف عمق هذا البحر. قال: كيف وقد ألقي رجل من زمان داود عليه السلام، وذلك منذ ثلاثمائة سنة، فما بلغ ثلث قعره حتى الآن - وفي رواية حتى الساعة-. فقلت: فأخبرني، من أين أقبلت [جئت]؟ قال: من عند الحوت بعثني الله ﷻ له أعذبه - وفي رواية أُغذيه -، لأن حيتان البحر شكت إلى الله كثرة ما يَأْكُل منها. قلت: فأخبرني عن المد والجزر؟ قال الملك: إن الحوت الذي الأرض على ظهره، يتنفس فيصير الماء في منخره، فذلك الجزر، ثم يتنفس، فيخرجه من منخره، فذلك المد. فقلت: فأخبرني علام قرار الأرض؟ قال: الأرضون السبع على صخرة، والصخرة على كف ملك، الملك على جناح الحوت في الماء، والماء على الريح، والريح في الهواء عقيم، لا تلقح، وأن قرونها معلقة بالعرش".[1]

وقد كفتنا خرافة القصة مئونة نقدها، ومثل هذه الخزعبلات لا تحتاج إلى تفنيد، وحتى لو نقل الناس عن أهل الكتاب ما قد نراه حقا وصوابا، فنحن مأمورون بالتوقف عن النقل

١ رواه أبو الشيخ في كتابه العظمة، عن عبد الله بن مسلم، عن علي بن داود، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا يحيى بن أيوب، عن خالد بن أيوب، عن خالد بن يزيد، عن كعب الأحبار رقم ٩٢٧: ص ٣١٢، كما نقله ابن كثير في البداية والنهاية ١: ٣١١

Upload by : altawhedmag.com

عنهم لقول رسول الله ﷺ، حيث يقول: ﴿ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه﴾.[١]

٥. الخضر والدجال:

لا يخلوا مصدر من مصادر السنة من عشرات الأحاديث التي تتناول الدجال سواء برواية قصته، وما سيحدث منه، أو التحذير من فتنته، والاستعاذة من شره، ومع هذا لا يوجد في هذه الأحاديث النبوية، أو في أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أي إشارة إلى حياة الخضر في ذلك الوقت، أو مشاركته في أحداث الدجال.

ولعل أول إشارة إلى اجتماع الخضر، والدجال هي اجتهاد معمر بن راشد حين فسر أحد هذه الأحاديث بما يدعم فكرة حياة الخضر إلى يوم القيامة، ففي حديث أبي سعيد الخدري، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، قال: ﴿يأتي الدجال، وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب[٢] المدينة، فيخرج إليه رجل، وهو خير الناس - وفي رواية أو من خيرهم-، فيقول: أشهد أنك أنت الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ بالمدينة﴾، وإلى هنا ينتهي الحديث، كما رواه أحمد في مسنده، واتفق عليه البخاري، ومسلم، وعبد الرزاق في مصنفه دون اختلاف يذكر في ألفاظه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا، ثم أحييته، أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول [الخضر] حين يحيا: والله ما كنت أشد بصيرة فِيكَ منيِّ الآن، قال: فيريد [الدجال] قتله الثانية، فلا يسلط عليه"[٣]. ويعلق أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان راوي صحيح مسلم بقوله: يقال: إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام، وقال: معمر بعد حديث عبد الرزاق: "بلغني أنه [أي الذي يقتله الدجال] يُجعل على حلقة من صفيحة من نحاس"، وبلغني أنه الخضر"[٤]. ويتبين من ذلك أن معمر بن راشد هو الذي قال: بلغني أنه الخضر،

---

١ رواه أبو داود في سننه ٣: ٣١٨ حديث ٣٦٤٤ من رواية ابن أبي نملة الأنصاري، عن أبيه، في باب رواية حديث أهل الكتاب، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

٢ نقاب المدينة: أي طريق من طرق المدينة.

٣ متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج حديث ١٧٤٩، وفي كتاب الفتن حديث ٦٥٩٩، ومسلم في كتاب الفتن حديث ٢٩٣٨، وأحمد في مسنده ٣: ٣٦، وعبد الرزاق في مصنفه ١١: ٣٩٣ حديث ٢٤٠٨٣.

٤ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه حديث ٢٠٨٢٤. ويشرح النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٨: ٧٢ عبارة (قال أبو إسحاق يقال: إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام) بقوله، أبو إسحاق هذا هو إبراهيم بن سفيان راوي الكتاب، عن مسلم: ويعلق ابن كثير=

Upload by : altawhedmag.com

وهذا الخبر المعلق غير معلوم قائله، ولو كان خبرا ثابتا لنسبه لنا، وأسنده بما يقويه، ولعززه بالأدلة والبراهين، ولكنه اكتفى بقوله بلغني، وهذه صيغة معلوم ضعفها، خاصة وإن أتت بشيء غير معلوم في الدين، وهذا قول على الله ورسوله بغير علم، ولا تقوم به حجة في الدين، ولو كان صحيحا لصرحت به بعض الأحاديث الكثيرة في هذا الباب، بل إن هذا القول يخالف رواية الحديث الذي جاء فيه هذا الوصف المحدد للرجل بأنه: "فَيُؤتى بشاب ممتلئ شبابا فيقتله"، ولا شك أن من كانت حياته مساوية لعمر الدنيا لا يوصف بأنه شاب ممتلئ شبابا. هذا بهتان يناقض النقل والعقل.

=بقوله: والصحيح أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا الرجل الخضر، أما قول معمر، وغيره بلغني، فليس فيه حجة، نقلا عن ابن كثير في البداية والنهاية.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

الخضر والفرق الباطنية

يحتل الخضر عليه السلام مكانا بارزا في الفكر الباطني، فهم يعتبرون لقاءه موسى عليهما السلام دليلا على تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، فموسى وهو نبي من أولي العزم من الرسل حاول جاهدا صحبة الخضر، إلا أن اعتراضه منعه من تلقي المزيد من علم الباطن. وفي نفس الوقت تراهم يروِّجون لفكرة حياة الخضر إلى اليوم، وبالتالي ينفتح المجال على مصراعيه؛ ليقولوا ما يريدون بثه بين أتباعهم، ولا يستطيع أحد أن يعصي أمر إمامه، أو شيخه، وإلا كان نصيبه الفراق والإبعاد، وإذا انقطع وحي النبوة بوفاة رسول الله ﷺ فما زال إلهام الباطنية مستمرا لحياة الشيخ الأول للباطنية، وهو الخضر، كما أن ترويجهم لفكرة حياته تضيف عليهم هالة كبيرة، فهم أهل لرؤيته والتلقي عنه، وما أسهل الزعم أن الخضر زارهم وأمرهم، لذا سنبين مكانة الخضر عند كل فرقة من الباطنية على حده.

أولا: الخضر والشيعة.

احتلت قصة موسى والخضر عليهما السلام حجر الزاوية في الفكر الشيعي، وسكنت أهواء القوم إلى تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وظنوا أنفسهم الخواص المؤهلين لتلقي أسرار الباطن، وجعلوا علم القشور، أو علم الظاهر للعوام. إن هذا التقسيم يُسهل عليهم الانطلاق في التأويل، والافتراء إلى نهاية المدى، فعلوم الدين تحكمها النصوص، والأدلة النقلية، والعقلية، وقد تعهد الله تبارك وتعالى بحفظ القرآن الكريم، وشرح صدر الصدِّيق، والفاروق، وذي النورين رضوان الله عليهم أجمعين؛ حتى جُمع بين دفتي المصحف، كما يسر سبحانه وتعالى حفظ السنة النبوية بجهود سلف الأمة، وعلماء الحديث، فاهتموا بالرجال والإسناد، ووضعوا ضوابط علم الجرح والتعديل، فلولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ولاختلطت السنة، وضاع بيان حقائق الدين.

فَلَمَّا هزم أصحاب رسول الله ﷺ أكاسرة الفرس دانت دولتهم، وعندما أطفأ نور الإسلام نار المجوس حاول عبدة الطاغوت بذر الفرقة في صفوف المسلمين، وكلما أحدثوا في الدين تصدى لهم السلف الصالح، وعندما اختنق الفكر الشيعي، وفشلت محاولات اختراقهم للدين، لم يجدوا إلا مثل هذه الروايات:- "ورد في الدر المنظم: اعلم أن جميع أسرار

Upload by : altawhedmag.com

الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء، قال الإمام علي كرم الله وجهه: أنا النقطة التي تحت الباء"، وقال أيضا: العلم نقطة كثَّرها الجاهلون، والألف وحدة عرفها الراسخون"[1].

وفي شرح الرسالة الموسوية بالفتح المبين أن ابن عباس، قال: "شرح لنا علي رضي الله عنه نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبح، وهو بعد لم يفرغ".

فالشيعة إذن يرون العلم كله تحول إلى نقطة تحت الباء، وهذه النقطة هي علي بن أبي طالب، وشرحها يحتاج الليالي ذوات العدد، وقد فاتهم أن القرآن الكريم دُوِّن بدون نقط، وظل كذلك قرابة قرن من الزمان، حتى قام عبد الملك بن مروان، ثم الحجاج بن يوسف الثقفي بوضع النقط، ليس فقط لحرف الباء، وإنما للباء، والتاء، والثاء، وغيرها، فأين كانت نقطة الباء، وأسرارها عشرات السنين قبل أن يضعها الحجاج؟!

الأئمة أعلم من موسى والخضر:

بعد أن استند الفكر الباطني على لقاء موسى والخضر عليهما السلام، راحوا يرفعون أئمتهم فوق مقام موسى والخضر، يروي الجزائري، فيقول: "إن موسى لما عاد إلى قومه من لقاء الخضر سأله أخوه هارون عما شاهده من عجائب البحر، قال موسى عليه السلام: أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سَقَطَ بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر، ورمى بها نحو المشرق، وأخذ الثانية، ورمى بها نحو المغرب، فأخذ الثالثة، ورمى بها نحو السماء، وأخذ الرابعة، ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ الخامسة، فألقاها في البحر، فَبُهِتُّ أنا والخضر من ذلك، وسألته عنه، فقال: لا أعلم.

فبينما نحن كذلك إذا بصياد يصيد في البحر، فنظر إلينا، وقال: ما لي أراكما في فكرة من أمر هذا الطائر؟ فقلنا: هو كذلك، فقال: أنا رجل صياد، وقد علمت إشارته، وأنتما نبيان لا تعلمان؟ فقلنا: لا نعلم إلا ما علمنا الله ﷻ، قال الصياد: فإشارته برمي الماء، يقول: يأتي في آخر الزمان نبي يكون أعلم أهل السموات، والأرض، والمشرق، والمغرب، علمه مثل هذه

١ ينابيع المودة صفحة ٦٨

Upload by : altawhedmag.com

القطرة الملقاة في هذا البحر، ويرث علمه ابن عمه، ووصيه علي بن أبي طالب، فعند ذلك سكن ما كنا فيه من التشاجر، واستقل كل واحد منا علمه[١].

أرأيت يا أخي الكريم خيالا أوسع من هذا، صياد من بني إسرائيل بينه وأئمة الشيعة الآف السنين، يعرف ما لا يعرفه نبيان كريمان، ويشرح لهما ما فعله الطائر بما يوافق عقيدة الشيعة الفاسدة، ولا نعرف لماذا تركه موسى والخضر عليهما السلام دون اتباعه، فمعرفته بالوصية أولى من كل شيء!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

علي يجدد إيمان الخضر:

يروي الشيعة حديثا طويلا عن لقاء بين الخضر وعلي، أجاب فيه على جميع أسئلة الخضر، فما كان من الخضر إلا أن أقر بالشهادتين، ثم بوصاية علي، وأئمة الشيعة الاثنى عشر واحدا بعد الآخر، ثم انصرف، فقال علي: إنه الخضر.

الشيعة تُرَوِّج لحياة الخضر:

تروج الشيعة بين البسطاء من أهل السنة والشيعة على السواء لحياة الخضر، وبقائه إلى قرب الساعة؛ لسبب خفي يشرحه أحد علمائهم، قائلا: "وأما الخضر ما طوَّل الله عمره لنبوة قدَّرها له، ولا لكتاب ينزل عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله، ولا لأمة يلزم اقتداؤهم به، ولا لطاعة يعرضها له، بل طوَّل عمره للاستدلال به على طول عمر القائم - عجل الله فرجه -، ولتنقطع بذلك حجة المعاندين؛ لئلا يكون على الله حجة"[٢].

فالهدف إذن من حياة الخضر عليه السلام منذ وفاة موسى عليه السلام إلى اليوم: هو فقط لإثبات حياة إمامهم الثاني عشر الذي دخل السرداب سنة ٢٥٦هـ، وينتظرون خروجه، ويدعون الله أن يعجل فرجه!

ثانيا: الخضر والباطنية.

يطلق لفظ الباطنية إذا ورد مجملا على غلاة الشيعة، وقد انقسمت الباطنية إلى فرق وشعب أبرزها الإسماعيلية، والدروز، والعلويون، أو من يسمون بالنصيرية، وقد استحقوا

١ الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري، توفي سنة ١١١٢ هـ، يرويها صاحب كتاب الأربعين.

٢ إلزام الناصب ١: ٢٨٦ اليزيدي الحائري.

Upload by : altawhedmag.com

هذا الوصف؛ لأنهم حولوا الدين الإسلامي، والشريعة الإسلامية إلى دين آخر، يتكون من ظاهر وباطن، وتعتقد فرق الإسماعيلية، والدروز، والعلويين أن لكل ظاهر باطنا، وأن لكل تنزيل تفسيرا ظاهرا، وتأويلا باطنا، وأن العلوم منها ما يليق بالعوام معرفته، ومنها ما لا يدركه إلا الخواص أصحاب الوراثة الروحية للدعاة والأئمة، ويشرحون الوراثة الروحية بقولهم: "والوراثة الروحية أن يصبح المدعو - أو المريد - ابنا روحيا للداعي - أو الشيخ -، ويرتبط به بعلاقة، لا تقل عن رابطة الدم، ومن صدق الصحبة وطول الملازمة بينهما ينتقل الطالب في درجات متلاحقة، لا ينتقل من درجة إلى أخرى إلا بإذن الداعي"[1].

وقد اعتبر الباطنيون أن قصة موسى والخضر عليهما السلام أصدق دليل على زعمهم، فالخضر عليه السلام مختص بعلم الباطن مع كونه ليس نبيا، وموسى عليه السلام، وهو نبي يلتمس صحبة الخضر عليه السلام؛ ليتلقى علم الباطن على يديه، نسوق منه ما نظمه أحد زعمائهم الملقب بالداعي المؤيد في الدين حيث يقول[2]:

أجزنا ظاهر الكلام
في ذاك أسلمناه للخصام
ففي اختلاف القرآن كثرة
من كل قول مع كل زمرة
يا قوم سر الملكوت هذا
يجعل أصنامكم جذاذا
سر له صاحب موسى الخضرا
قال معي لن تستطيع صبرا
وقال موسى سوف ألفي صابرا
فلم يكن إذ ذاك إلا قاصرا
تدبروا القصة ماذا يمما
من قصها إن لم تكونوا نوما

١ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ٢٢:٢٣ بتصرف.

٢ الإسماعيلية لكامل حسين ١٥٧ - ١٦٣ نقلا عن إسلام بلا مذاهب د. مصطفى الشكعة ٢١٢

Upload by : altawhedmag.com

لعلكم أن تحسبوهـا سمـــرا

إذن أسأتم للنفوس النظـــرا

ورب معنـى ضمـــه كـلام

كمثـل نـور ضمـــه ظـلام

بـاق بقاء الحب في السنابـل

في معقل من أحـرز المعـاقـل

وإنمـا باب المعـاني مقفـــل

وأكثر الأنـــام عنهـا غفـــل

مفتاحـه أضحى بأيدي خـزنـة

بهم إلهي علمـه قـد خـزنـه

كيمـا يلوذ الخلـق طـــرا بهـم

خصـــوا بهذا النور مـن ربهـم

ويكفي في هذا المقام أن ننقل عن ابن تيمية رحمه الله تحذيره للمسلمين من خطورة الباطنية، فيقول: "إن النصيرية[1] هم دائما مع كل عدو للمسلمين، ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائما مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل، وانقهار النصارى، بل من أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم أن يستولي النصارى - والعياذ بالله - على ثغور المسلمين، حتى أن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام، وقتلوا خليفة بغداد، وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم، ومؤازرتهم، واستولت الحملات الصليبية على السواحل الشامية بسببهم، بل إنهم أعانوهم على دخول بيت المقدس وغيره".

ثالثا: الخضر والصوفية.

يصطلح الصوفية على أن "الخضر شيخ المتصوفة، قادهم في رحلتهم الطويلة، فكان

١ النصيرية: هي فرقة من غلاة الباطنية يعرفون اليوم باسم العلويين.

Upload by : altawhedmag.com

لهم نعم المعلم، والسمير، والرفيق، وهو شيخ الشيوخ يرشد، ويهدي، ويقود المريد خطوة خطوة. وللخضر آراء غريبة، وينبغي على السالك إطاعته مهما كانت أوامره، قد يطالب بفعل الشر وإتيانه، ولكن لا خوف ولا تثريب، إذ العبد، ههنا، في قبضة الرحمن الذي شاء له أن يعلو، ويسمو حتى يغدو بدوره نجما. واختراق حاجز الشرور سبيل لمعرفة أصول التوحيد، كما فعل العبد الصالح مع موسى، فلا يتوهمن إنسان أن ما يأمر به الخضر غايته الفساد، لا معاذ الله، وكيف يفعل الروح الخضر هذا، وهو المعلم الأول"[1]، ثم يستشهد بقول الغزالي: فكان ما كان مما لست أذكره فظُن خيرا، ولا تسأل عن الخبر.

ويعلق صوفي آخر على قصة موسى والخضر بقوله: "إن للحق عبادا أقامهم؛ لبيان المكتسبات، وعبادا أقامهم؛ لبيان الموهوبات، ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر، ولا يشاركه فيما أقيم فيه"، ثم يشير إلى علو مكانة الخضر على موسى عليهما السلام بقوله: "ما من كامل في رتبة إلا وهو جامع لكمالات ما دونها، وفقير لكمالات ما فوقها".

وينصح السهروردي المريدين بقوله: "وينبغي للمريد، أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره، فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ، فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة"، ثم يستطرد قائلا: "وقيل: من قال لأستاذه: لِمَ؟ لا يفلح أبدا"[2]. ويحاول السهروردي أن يفسر لنا رأي الصوفية هذا، فيزيد الطين بلة بقوله: " فالشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فالشيخ مقتدٍ برسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا، لا يتكلم بهوى النفس"[3].

وبرغم أننا لا نجد أثرا في كتب الصحاح، والسنن المعتبرة عن لقاءات الخضر عليه السلام مع الصحابة، أو التابعين، ولم يزعم أحد من جمهور العلماء، أنه رأى الخضر، راحت تتناثر على استحياء في كتب التاريخ قصص هذه اللقاءات التي ذكرناها آنفا، وقد تعقب

١ النصوص في مصطلحات الصوفية لمحمد غازي عرابي ١١٦

٢ عوارف المعارف للسهروردي ٤٠٩

٣ عوارف المعارف للسهروردي ٤٠٤

Upload by : altawhedmag.com

العلماء، والحفاظ هذه الحكايات نقدا وتجريحا، إلا أن ظاهرة لقاءات الخضر والصوفية عامة، لا يكاد يخلوا منها كتاب من كتبهم، حتى تكررت في ترجمة الصوفية عبارة "وكثيرا ما يجتمع، أو يتلقى عن الخضر"، خاصة في كتب المتأخرين منهم، ولبيان مهمة الخضر التي يخلد من أجلها، نعرض فيما يلي أمثلة مما في كتب الصوفية وطبقاتهم:-

*** الخضر يعلم ابن عربي التسليم للمشايخ:**

يروى ابن عربي قصة شرب الخضر من عين الحياة، ثم يقول: "ولقيت الخضر بإشبيلية، وأفادني التسليم للشيوخ، وألا أنازعهم، وكنت في ذلك اليوم قد نازعت شيخا لي في مسألة، وخرجت من عنده، فلقيت الخضر بقوس الحنية، فقال لي: سلم إلى الشيخ مقالته، فرجعت إلى الشيخ من حيني، فلما دخلت عليه منزله كلمني قبل أن أكلمه، وقال لي: يا محمد، أحتاج في كل مسألة تنازعني فيها أن يوصيك الخضر بالتسليم للشيوخ![1].

*** الخضر يعلم الصوفية من علم داود:**

يروى عن إبراهيم بن أدهم، أنه قال: "توجهت إلى مكة، فبينا أنا في البادية، إذا أنا برجل يسير، ليس معه إناء، ولا زاد، فلما أمسى، وصلى المغرب، حرك شفتيه بكلام لم أفهمه، فإذا أنا بشخص آخذ بحجزتي[2]، وقال: سل تعطه، فراعني قوله، فقال: لا روع عليك، ولا بأس عليك! أنا أخوك الخضر، إن أخي داود، علمك اسم الله الأعظم "[3].

*** الخضر يتودد إلى المريدين:**

قال: أبو عبيد البسري، قال لي الخضر: يا أبا عبيد أنا أجيء إلى العارفين في اليقظة، وأجيء إلى المريدين في المنام أودهم "[4].

*** الخضر يراجع مؤلفات الصوفية:**

يحكى عن الحكيم الترمذي، أنه أعطى محمد بن عمر الوراق كراسة، وقال له: ألقها في

---

١ الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي ٣:٣٣٦

٢ بحجزتي: أي بثيابي

٣ طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ٣١، عن عثمان بن عمارة الذي ذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ٤٠٤٩، وذكر نفس القصة الهجويري في كشف المحجوب ٣١٦

٤ طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٦٤

Upload by : altawhedmag.com

جيحون!، فلم يطعه قلبه، وأخفاها في منزله، ثم جاءه، فقال له: ألقيتها، وماذا رأيت؟ قال: لم أر شيئا، قال: لم تُلقها، عد، وألقها في الماء، فانشق الماء، وظهر صندوق مفتوح، فلما وقعت فيه أغلق الغطاء، فعدت، ورويت له ما حدث، فقال: الآن ألقيتها. قلت: أيها الشيخ ما سر هذا؟ حدثني به، قال: كنت قد صنفت كتابا في علم هذه الطائفة، يصعب على جميع العقول تحقيقه، وقد طلبه مني أخي الخضر عليه السلام، وكانت سمكة قد أحضرت هذا الصندوق بأمره، وأمر الله تعالى الماء أن يوصله إليه[١]، وتشير القصة إلى حياة الخضر في البحر، وكيف يُسَخِّرِ السمك لينقل له كتب الصوفية! يروى عن الحكيم الترمذي أن الخضر يحضر إليه كل أحد، وكانا يتساءلان الوقائع[٢].

* الخضر يسمع الملائكة:

يروى عن شقيق البلخي قال: "لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة، فقال لي: اجتمعت بالخضر، فقدم لي قدحا أخضر فيه رائحة السكباج[٣]، فقال لي: كل يا إبراهيم، فرددته عليه، فقال: إني سمعت الملائكة تقول: من أعطى فلم يأخذ، سأل فلا يُعطى"[٤].

* الخضر موكل بالصوفية:

وكان أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري، يقول: علمني الخضر عليه السلام رقية الوجع، فقال: "إذا أصابك وجع فضع يدك على الموضع، وقل: وبالحق أنزلناه، وبالحق نزل، فلم أزل أقولها على الوجع، فيذهب لساعته"[٥].

ويقول أبو تراب النخشبي: رأيت رجلا بالبادية، فقلت له: "من أنت؟، فقال: أنا الخضر الموكل بالأولياء، أرد قلوبهم إذا شردت عن الله ﷻ، يا أبا تراب التَّلَفُ مِن أول قَدَمٍ، والنجاة من آخر قدم"[٦].

---

١ الهجويري في كشف المحجوب ص ٣٥٤، وكررها في ص ٤٧٣.

٢ الهجويري في كشف المحجوب ٧١.

٣ السكاب والسكباج: نبات له ريح طيب ينمو في الفيافي والوديان، يصنع منه أهل الحجاز النبيذ.

٤ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٦٥

٥ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٧٠

٦ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٧١

Upload by : altawhedmag.com

* ملازمة الخرائب تربية باطنية:

يقول عبد القادر الجيلاني: "أقمت في صحراء العراق، وخرائبه خمسا وعشرين سنة، مجردا سائحا، لا أعرف الخلق، ولا يعرفونني، يأتيني طوائف من رجال الغيب والجان، أعلمهم الطريق إلى الله ﷻ، ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي العراق، وما كنت عرفته، وشرط أن لا أخالفه، وقال لي: اقعد هنا، فجلست في الموضع الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني كل سنة مرة، ويقول لي: مكانك حتى آتيك، قال: ومكثت سنة في خرائب المدائن، آخذ نفسي بطريق المجاهدات، فآكل المنبوذ، ولا أشرب الماء، ومكثت فيها سنة، أشرب الماء، ولا آكل المنبوذ، وسنة لا أشرب، ولا آكل، ولا أنام"[1]. ومن عجب أن يترك الجيلاني بني آدم خمسا وعشرين سنة، ويتفرغ لتعليم رجال الغيب، والجان الطريق، ثم يأتيه من لا يعرفه، فيأمره ويطيع، فيأكل سنة من البقايا، وما يرميه الناس في المهملات، ولا يشرب الماء، ثم سنة ثانية، وثالثة حرمه النوم، ولا تعرفنا القصة متى علم أن الذي يطيعه هو الخضر: أبَعْد الأعوام الثلاثة أم بعد أن كلفه بأمور أكثر غرابة؟!

* الخضر يطير في الهواء:

حكي عن إبراهيم الخواص، أنه قال: كنت في البادية جالسا مستجمع الهم، وقد مضت علي أوقات لم أتناول فيها الطعام، فبينا أنا كذلك إذا بالخضر عليه السلام مارا في الهواء، فلما رأيته طأطأت رأسي، وغمضت بصري، ولم أنظر إليه، فلما رآني جلس إلى جنبي، فرفعت رأسي، فقال لي: يا إبراهيم، لو أعرتني الطرف ما جئت إليك[2].

* الصوفية يترفعون عن صحبة الخضر:

سئل الخواص عن أعجب ما رأى؟ فقال: رأيت منها الكثير، ولكن ليس فيها ما أعجب من أن الخضر عليه السلام طلب مني أن يصحبني، فلم أجبه! قيل: لِمَ؟ قال: لأني كنت أطلب رفيقا خيرا منه، ولكني خشيت أن أعتمد عليه دون الحق، وتضر صحبته بتوكلي، وأتخلف بالنافلة عن الفريضة[3].

---

١ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ١١١

٢ اللمع لأبي نصر السراج الطوسي.

٣ الهجويري في كشف المحجوب ص ٣٦٥، وكررها مطولة في ص ٥٣٠، وحكاها بشكل ثالث في ٥٨٨

Upload by : altawhedmag.com

ويروى عن أبي بكر الهلالي - نقلا عن حلية الأولياء وصفة الصفوة - أنه أيضا ترفع عن صحبة الخضر، وهو يروي القصة عن نفسه، قائلا: كنت أتمنى على الله أن يُريني أبا العباس الخضر عليه السلام، فلما كان بعد مدّة إذا أنا بالباب يُدقُّ عليّ، فقلت: من هذا ؟ فقال لي: أنا الذي تتمنَّاني على الله ﷻ، أنا الخضر، فقلت له: الذي طلبناك له قد وجدناه، ارجع إلى حال سبيلك".

ويا عجبا لهؤلاء كيف يصدقون أن مشايخهم يترفعون عن صحبة الخضر عليه السلام، بينما موسى الكليم يقطع المسافات ويلقى التعب، والنصب؛ لتنفيذ أمر الله له، ولقاء الخضر.

* الخضر يدل تائهي الصوفية:

وكان أبو إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الخواص، يقول: "لقيت الخضر عليه السلام في بادية، فسألني الصحبة، فخشيت أن يفسد علي توكلي بالسكون إليه ففارقته، ثم يستطرد قائلا: عطشت في بادية في طريق الحجاز، فإذا براكب حسن الوجه على دابة شهباء، فسقاني الماء، وأردفني خلفه، ثم قال: انظر إلى نخيل المدينة، فانزل واقرأ على صاحبها مني السلام، وقل أخوك الخضر يقرأ عليك السلام"[1].

ويا عجبا من جرأة أهل الشطح، الخضر عليه السلام يطلب صحبة الخواص، ويرفض الرجل خشية أن يفسد عليه توكله، ثم يسير في الصحراء بلا زاد، أو راحلة، حتى إذا عطش يأتيه الخضر، فيسقيه، ويردفه خلفه، ويوصله إلى المدينة، والخواص لا يعرفه. أما كان أولى له أن يستن بسنة رسول الله ﷺ في الهجرة، حيث أعد زاده، وعدته، ورتب دابته، واستأجر الدليل، أيخالف الخواص سنة رسول الله ﷺ، ثم يزعم لقاء الخضر عليه السلام؟! وكأن مهمة الخضر هي سقي الصوفية، وتوصيلهم مكافأة لهم على مخالفتهم هدي نبيهم ﷺ.

* الخضر يحب الشوربة:

وكان الشيخ عبد الله القرشي يجتمع كثيرا بالخضر عليه السلام، وكان يطبخ طعام القمح كثيرا، فقيل له في ذلك، فقال: "إن الخضر عليه السلام زارني ليلة، فقال: اطبخ لي شوربة قمح، فلم أزل أحبها؛ لمحبة الخضر عليه السلام لها"[2].

---

١ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٨٤

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ١٣٧

Upload by : altawhedmag.com

ليس الغرض من حكاية الشيخ حب الخضر للشوربة، أو ثناءه عليها، وإنما المقصود أن يوهم أتباعه أنه يجالس الخضر، ويأكل معه، وأنه يتبع الخضر في كل أموره حتى حبه للشوربة ليس من نفسه إنما اتباع، وتقليد للخضر، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

*** الخضر تابع للحفني:**

ويروى عن الشيخ الحفني: "أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلسه مرارا، يجلس على يمينه، فإن قام الشيخ قام معه، وإن دخل الخلوة شيعه إلى باب الخلوة"[1]. ويقول أبو الحسن الشاذلي: "لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب، فقال لي: يا أبا الحسن، أَصْحَبَك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحبا في المقام والرحيل"[2].

*** الخضر يعين الأبدال:**

يروي السيوطي، عن اليافعي، عن بعض أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني قصة غريبة تجعل للخضر دورا في اختيار الأبدال، حيث يقول: "خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلة، فانفتح له باب المدرسة، فخرج وخَرَجْتُ خلفه، فإذا نحن في بلد لا أعرفه، فدخل فيه مكانا شبيها بالرباط، فإذا فيه ستة نفر، فبادروا بالسلام عليه، والتجأت إلى سارية هناك، وسمعت أنينا، فلم نلبث إلا قليلا حتى سكن الأنين، ودخل رجل، وذهب إلى الجهة التي سمعت فيها الأنين، ثم خرج يحمل شخصا على عاتقه، ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب، وجلس بين يدي الشيخ، فأخذ عليه الشيخ الشهادتين، وقص شعر رأسه وشاربه، وألبسه طاقية، وسماه محمدا، وقال لأولئك النفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلا عن الميت، قالوا: سمعا وطاعة، ثم خرج الشيخ وتركهم، وخرجت خلفه، وشيئا غير بعيد، وإذا نحن عند المدرسة في بغداد، فأقسمت على الشيخ أن يبين لي ما رأيت، فقال: أما البلد فنهاوند، وأما الستة فهم الأبدال، وصاحب الأنين سابعهم، وكان مريضا، فلما حضرته وفاته جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصا فأبو العباس الخضر، ذهب به؛ ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين، فرجل من أهل القسطنطينية كان نصرانيا، وأمرت

١ الطبقات الكبرى للشعراني ٢:٩٢

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ٢:٤٠

Upload by : altawhedmag.com

أن يكون بدلا عن المتوفى، فأتي به، فأسلم على يدي، وهو الآن منهم"[١].

* يخبر بمقام الصوفية عند ربهم:

وكل من يريد أن يرفع مقامات شيخه فوق كل المشايخ فما عليه إلا أن يدس خبرا، أو حكاية، يرويها عن شيخه والخضر، فيقول أبو الحجاج الأقصري: سمعت شيخنا عبد الرزاق، يقول: "لقيت الخضر عليه السلام سنة ٥٨٠ هـ، فسألته عن شيخنا أبي مدين، فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت، وسره من الإرادة؛ ذلك آتاه الله تعالى مفتاحا من السر المصون بحجاب القدس، ما في هذه الساعة أجمع لأسرار المرسلين منه"[٢]. ويروى القشيري في رسالته عن بلال الخواص، قال: "كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني فتعجبت، فألهمت أنه الخضر، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك الخضر، قلت: أريد أن أسألك، قال: سل، قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد، قلت: وما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: رجل صديق، قلت: ما تقول في بشر الحافي؟ قال: لم يخلق بعده مثله، قلت: بأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببركة أمك"[٣].

* شروط اجتماع الصوفي والخضر:

يروي الشعراني في "الطبقات الكبرى"، أنه سمع الشيخ علي النبتيني، وهو يقول: "لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إذا اجتمعت فيه ثلاث خصال، فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط، ولو كان على عبادة الملائكة:

- **الخصلة الأولى**: أن يكون العبد على سننه في سائر أحواله.
- **والثانية**: أن لا يكون له حرص على الدنيا.
- **والثالثة**: أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام، لا غل، ولا غش، ولا حسد".

وحكي له عن الشيخ أبي عبد الله التستري، أنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام، ويقول أن

---

١ ينقله السيوطي عن كتاب كفاية المعتقد لليافعي، راجع الحاوي للفتاوي ٢:٤٧٠، إن هذا الخبر يلقي بروح اليأس في طريق المريدين، فالتعيين لمناصب الأبدال ليس بالإخلاص في الأوراد أو كثرة حضور الموالد والحضرات، بل هو اختيار القطب الذي لم يجد في تلك القصة من يصلح لهذا المقام فاختار نصرانيا، لم يغتسل بعد غسل الإسلام.

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ١:١٣٣

٣ الرسالة القشيرية، وننقلها عن السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوى ٢:٤٦٩١

Upload by : altawhedmag.com

الخضر لا يجتمع بأحد إلا على وجه التعليم له؛ فإنه غني عن علم العلماء لما معه من العلم اللدني"[١]. ثم ينسب نفس الحكاية في كتابه "الميزان الخضرية" لشيخه علي الخواص، فيقول: "وأخبرني [سيده]علي الخواص أن للاجتماع بالخضر عليه السلام ثلاثة شروط، ومن لا تجتمع فيه لا يجتمع به، ولو كان على عبادة الثقلين:

الأولى: أن يكون على سنة، لا يتدين ببدعة.

الثاني: ألا يكون له حرص على الدنيا، فلو خبأ عنده رغيفا إلى غد لم يجتمع به.

الثالث: أن يكون سليم الصدر للمسلمين، فلا يكون في قلبه غل، ولا حسد، ولا كبر على أحد منهم". قال: وكان أبو عبد الله [البشري]- أحد رجال رسالة القشيري - يجتمع به [الخضر] كثيرا، فوقع أنه قال لزوجته: ضعي هذا الدرهم إلى غد، فانقطع عن رؤيته إلى أن مات، ثم رآه في المنام من بعد، فقال له: ما ذنبي؟ فقال له: أما علمت أنا لا نصحب من يخبئ رزق غد"[٢].

* الخضر مقام وليس شخص:

يرى بعض الصوفية أن الخضر مقام يصل إليه العارفون، وليس صاحب موسى، ويقولون: "إن لكل زمان خضرا، وأنه نقيب الأولياء، وكلما مات نقيب أقيم نقيب بعده مكانه، ويسمى الخضر، ولهذا يختلف الصوفية في وصف الخضر، فمنهم من يراه كهلا، أو شيخا، أو رجلا، أو شابا، وهو يؤكد اختلاف المرئي". يشير أبو العزايم إلى المتنافسين على مرتبة الخضر، فيقول: "في هذا العصر أفراد، وأبدال، وأقطاب، وعلماء، وما شاكلهم، كلهم يتنافسون في أن ينالوا مرتبة الخضر عليه السلام، ولكن ما نالها من طريق الفضل إلا الخضر"[٣].

يقول القاشاني رأيا آخر: الخضر: كناية عن البسط، وإلياس كناية عن القبض، وأما كون الخضر عليه السلام شخصا إنسانيا باقيا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد، أو روحانيا يتمثل بصورته لمن يرشده، فغير محقق عندى، بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة

١ الطبقات الكبرى للشعراني ٢:١١٣

٢ الميزان الخضرية للشعراني ١٦

٣ في رحاب أنصار الحق لمحمود ماضي أبي العزايم ١٦٤

Upload by : altawhedmag.com

عليه، ثم يضمحل، وهو روح ذلك الشخص، أو روح القدس"[١].

وجاء في معجم مصطلحات الصوفية في مادة خضر: الخضر: يعبر به عن البسط، فإن قواه المزاجية مبسوطة إلى عالم الشهادة والغيب، وكذلك قواه الروحية[٢].

١ اصطلاحات الصوفية للقاشاني، تحقيق د. محمد كمال إبراهيم ١٦٠

٢ معجم مصطلحات الصوفية: د. عبد المنعم الحفني ٩٠

Upload by : altawhedmag.com

تعقيب وهم

لا يتسع المقام لذكر كل الصوفية الذين يزعمون رؤية الخضر، وننقل عن الشعراني في طبقاته الكبرى، وغيرها من مؤلفاته في ترجمة مشايخ الصوفية، أنه ممن اجتمع بالخضر: ذو النون المصري، والشيخ عبد الرزاق، وإبراهيم الخواص، وأبو اليزيد البسطامي، وإبراهيم بن أدهم، وأبو الحسن الشاذلي، وأبو العباس المرسي، وياقوت العرشي، وعلي الضرير النبتيني، وعلي الخواص، وأفضل الدين، ومحمد المنير، وغيرهم. ولا تنتهي الأمثلة من كتب الشعراني، بل ومصنفات: أبو نعيم، والقشيري، وابن عربي، والجيلي، والشبلنجي، والسرهندي، واليافعي، وغيرهم، لا تخلو من الإشارة إلى اجتماع الأولياء، والخضر عليه السلام. وقد يرى البعض أن لا ضرر من سماع هذه الحكايات، والحقيقة أنها تهدف إلى تزكية رجال التصوف، فأين الإمام أحمد بن حنبل، وفقهه، وحفظه للحديث، ثم مواقفه لحماية العقيدة، وأين عبد الله بن المبارك ومالك والزهري والشافعي وعلومهم من بشر الحافي؟

ثم إذا تأملنا لقاءاتهم الخضر عليه السلام نلاحظ أمرا هاما، أن كل مروياتهم تختلف عن أفعاله الثلاث مع موسى عليهما السلام، ولا نجد قصة واحدة تلقي ضوءا عن شخصية الخضر عليه السلام، تصلح أن نضيفها إلى ما قصه القرآن عنه، بل على العكس تماما، نجد قصص الصوفية تسيء إليه، وتنقص من قدره، فنراه يأمر الجيلاني بالاعتزال ثلاث سنوات، ليس له طعام إلا المنبوذ من الطعام، ولو كان هدفه تهذيب نفسه لأمره بالاعتكاف الشرعي في رمضان في المسجد، ثم نرى الخضر يعرض نفسه على الخواص؛ ليصحبه فيأبى، ثم يماشي الحنفي تابعا له، ثم يُعلم ابن الحواري رقية مخالفة لهدي النبي ﷺ.

إن حياة الخضر إلى اليوم، ليست موضوعا ثانويا في الفكر الصوفي، بحيث لا يضر الصوفي التصديق بها، أو إنكارها، بل لقد أصبحت في حقيقة الأمر عمود الرحى، الذي تدور حوله مجموعة من الأفكار، أصبحت تمثل حزمة من المبادئ المترابطة، لا يُقبل أن يؤمن الصوفي ببعضها، ويكفر ببعض، فمجرد رد الصوفي لموضوع واحد، ينفرط عقد الفكر الصوفي بالكلية.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع
القول المبين في حياة الخضر

ذكرنا في الفصل السابق بعضا من الأقوال التي راجت في الكتب، واشتهرت عن حياة الخضر عليه السلام، وطولها، وامتدادها من بنوته لآدم عليه السلام، وحتى يكذب الدجال، وهذه الأسطورة لو كانت صحيحة لكانت حياته من أعظم الآيات والعجائب، فالله تبارك وتعالى ذكر أن رسالة نوح عليه السلام بلغت ألف سنة إلا خمسين عاما، وجعلها آية، فكيف لا يذكر من استحياه آلاف السنين، وفي ذلك آية من أعظم آيات الربوبية.

نناقش فيما يلي قضية حياة الخضر عليه السلام، ونعرض بتوفيق الله تعالى، فيما يلي الأدلة التي تقطع الشك باليقين في قضية حياة الخضر عليه السلام:-

أولا: الدليل من القرآن الكريم.

إن الذين يزعمون حياة الخضر عليه السلام يقولون على الله بغير علم، ويحذرنا الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة- ٨٠]، وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة- ١٦٩]، كذلك قوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف- ٢٨]، فلو كان الخضر عليه السلام حيا، لثبت ذلك بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، فهذا كتاب الله تعالى، فأين حياة الخضر فيه أو غيره من البشر؟! والآية القرآنية تقرر: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء-٣٤]، فإن كان الخضر عليه السلام بشرا، فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه بالخلود إلا بدليل صحيح. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران-٨١].

عن علي بن أبي طالب، قال: "لم يبعث الله ﷻ نبيا: آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بعث، وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه، ويأمره، فيأخذ العهد على قومه"[١]. فالخضر إما نبي: وعلى هذا، فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيا في زمن نبي الله ﷺ، لكان

١ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير آل عمران ٣:٢٣٦

Upload by : altawhedmag.com

أشرف أحواله الوفاء بعهد الله، وأن يأتي مبايعا لرسول الله ﷺ، مؤمنا بما أنزل الله عليه، وناصرا له، ومؤيدا، وهذا موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وكليم الله لو كان حيا في زمن سيدنا رسول الله ﷺ، ما تأخر لحظة، ففي الحديث الشريف: ﴿لقد جئتكم بها بيضاء نقية، أما والله لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي﴾[1]، وفي رواية أخرى: ﴿والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني﴾[2]، وطالما لم يبايع الخضر عليه السلام سيدنا محمدا ﷺ، فهو إما أن يكون ليس بنبي، وبالتالي غير مكلف بالبيعة، أو أن يكون قد ذاق الموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران- ١٨٥]، شأنه في ذلك شأن كل البشر.

ثانيا: الدليل من السنة المطهرة.

هذه سنة رسول الله ﷺ، فأين النص على حياته وخلوده؟! وقد استعرضنا الروايات الموضوعة، فما وجدنا فيها حديثا واحدا يرقى إلى درجة الحديث الحسن، وكل ما ورد أشبه بالحكايات، والقصص الخيالية لا ينبغي أن تروى إلا على سبيل التعجب!.

اتفق الشيخان البخاري ومسلم في تخريج حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: ﴿صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام، فقال: أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد﴾[3].

وفي رواية: ﴿لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو اليوم حي﴾[4]، وفي رواية ثالثة: ﴿أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد﴾[5]. وفي رواية رابعة، أن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته بشهر، أو نحو ذلك: ﴿ما من [ما منكم من] نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي

١ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي ١:٤١٦

٢ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٣: ٢٣٣

٣ أخرجه البخاري حديث ١١٣، ومسلم ٢٥٣٧، وأبو داود حديث ٤٣٤٨، وأحمد في مسنده أحاديث ٢:٨٨، ١٢١، ١٣١

٤ انفرد به أحمد في مسنده أحاديث ٦٧٦، ١١٢٦

٥ أخرجه البخاري حديث ٥٦٦، وأحمد في مسند جابر بن عبد الله.

Upload by : altawhedmag.com

حية يومئذ ﴾[١].

ويروي جابر بن عبد الله، أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بشهر، يقول: ﴿تسألونني عن الساعة وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة ﴾، وعن أبي سعيد الخدري، قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة، فقال النبي ﷺ: ﴿لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم ﴾[٢]. يقول ابن الجوزي: "هذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر".

ونقول لقد أثبتنا بطلان دعوى حياة الخضر ولقائه النبي ﷺ، وبفرض أنه عاش حتى عصر النبوة، فإن هذه الأحاديث تظهر وفاته بعد مائة سنة من وفاة النبي ﷺ كحد أقصى، وذلك على افتراض – غير صحيح – أنه كان حيا وقت قول النبي ﷺ، وقد توفي آخر الصحابة أبو الطفيل عامر بن واثلة عام ١١٠ هـ.

*** قولهم الخضر ولي وليس بنبي:**

نقول الخضر لو كان وليا، فهو إذن صحابي، أو تابعي لنبي سبقه، وبالتالي بلغه أمر نبيه بوجوب بيعة النبي الخاتم ﷺ، فما الذي حجبه عن النبي حتى يخاطبه من خلال أنس رضي الله عنه، يبقى أن يقولوا أنه ولي وغير مكلف بالبيعة، نقول: إذا فاتته البيعة، فلم إصراره على عدم الصحبة. إن الصديق أبا بكر أفضل البشر بعد النبي ﷺ، وهذا ما يقرره الحديث الشريف: ﴿ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق ﴾[٣].

فكيف يتخلف الخضر عن شرف صحبة رسول الله ﷺ، وآله، والمهاجرين، والأنصار؟!. وأين كان الخضر يوم بدر، ورسول الله ﷺ يناشد ربه، قائلا: ﴿اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله قد ألححت على ربك ﴾ وفي رواية: ﴿اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في

١ أخرجه مسلم حديث ٤٦٠٧، وأحمد في مسند جابر بن عبد الله.

٢ انفرد به مسلم حديث ٤٦٠٨

٣ رواه ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٤: ٣٣٩

Upload by : altawhedmag.com

الأرض بعد اليوم ﴾،[١] لقد قاتل المؤمنون يوم بدر، وشارك معهم جبريل عليه السلام، فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ، قال: ﴿هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب ﴾[٢].

فلو كان الخضر عليه السلام حيا لكان شهوده يوم بدر أرجى أعماله عند ربه، فهذا جبريل عليه السلام يسأل رسول الله ﷺ، قائلا: ﴿ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة ﴾[٣]، في رواية، قال: ﴿خيارنا ﴾[٤]

وقد قيل إن أفخر بيت قالته العرب ما قاله حسان بن ثابت في قصيدة له، يقول فيه:

وثبير[٥] بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

يقول أبو الفرج بن الجوزي: "فلو كان الخضر عليه السلام حيا لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته"[٦].

ويعلق شيخ الإسلام ابن تيمية على قول الصوفية: "الخضر نقيب الأولياء"، بقوله: " من ولّاه النقابة، وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ، وليس فيهم الخضر، وعامة ما يُحْكَى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب، وبعضها مبني على ظن رجل: مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر، فقال: إنه الخضر، وكما أن الرافضة ترى شخصا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم، أو تدعي ذلك، وروي عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه قال: "من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان"[٧].

هذه الأحاديث تجعلنا نطمئن إلى موت الخضر عليه السلام في زمن موسى عليه السلام، أو بعده بقليل، أما أن يكون حيا، ويتخلف عن بدر، وأحد، وسائر غزوات النبي ﷺ لنصرة دين الله ﷻ، فهذا ما لا يقبله عقل، ولا يستريح إليه بال، فإن قيل: إنه كان حاضرا في هذه المشاهد كلها، ولم يره أحد، نقول: إن هذا الزعم يخرجه عن بشريته، ويجعله ملكا، أو من

١ أخرجه البخاري حديث ٢٦٩٩

٢ أخرجه البخاري حديث ٣٦٩٤

٣ أخرجه البخاري حديث ٣٩٦٢

٤ مسند أحمد، وابن ماجة، عن رافع بن خديج، قال ابن الجوزي: إنما هو رافع بن رفاعة الزرقي.

٥ ثبير اسم جبل ظاهر بمكة المكرمة

٦ كتاب عجالة المنتظر في شرح حال الخضر لابن الجوزي نقلا عن ابن كثير في البداية والنهاية ١:٣١٢

٧ الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧: ١٠٢

Upload by : altawhedmag.com

الجن، فإن قيل: إنه بشر، لا يراه الناس، نقول: إن هذا تخصيص، لا دليل عليه، ووهم لمجرد الجدال، والمراء، ثم ما فائدة الاختفاء بينما ظهوره أعظم لأجره، وأظهر لمعجزته، وأعلى لقدره، ومرتبته، ثم أليس أهل بدر أعلى مقاما من فتى موسى عليه السلام، ومن أصحاب السفينة، وأهل القرية؟ وكيف يحتجب عن أصحاب رسول الله ﷺ، ويراه هؤلاء؟.

ثالثا: إجماع المحققين من علماء الأمة.

أما إجماع المحققين من علماء الأمة، وسلفها الصالح، فلم يقل الصحابة، والتابعون، وأئمة الفقه، والمحدثون بحياة الخضر، أو لقائه، أو خلوده، وإنما دارت أقوالهم حول تكذيب ذلك، ونفي خلوده، فيقولون:-

١. يقول ابن عساكر: وهذه الروايات، والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدا، لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد[١].

٢. قال ابن المنادي: "بحثت عن تعمير الخضر، وهل هو باق أم لا؟ فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق؛ من أجل ما روي في ذلك، قال: والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية، والسند إلى أهل الكتاب ساقط؛ لعدم ثقتهم، قال: وما عدا ذلك كله من الأخبار كلها، لا يخلو حالها من أحد أمرين: إما أن تكون أُدْخِلَت على الثقات استغفالا، أو يكون بعضهم تعمد ذلك"[٢].

٣. وابن الجوزي، يقول: "والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا، أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول"، ويقول أيضا: "وجميع الأخبار في ذكر الخضر واهية الصدور والأَعْجَاز لا تخلو من أمرين: إما أن تكون أُدْخِلَت بين حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالا، وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرَوَوْها على جهة التعجب، فنسبت إليهم على وجه التحقيق، قال: وأكثر المغفلين مغرور بأن الخضر باق، والتخليد لا يكون لبشر"[٣].

---

١ ابن عساكر في تاريخ دمشق

٢ ابن عساكر في تاريخ دمشق

٣ ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى ١:١٩٩

Upload by : altawhedmag.com

٤. ذُكر عن البخاري، وعلي بن موسى الرضا: "أن الخضر مات، وأن البخاري سُئل عن حياته، فقال: وكيف يكون ذلك؟ وقد قال النبي ﷺ: ﴿أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد﴾.

٥. وممن قال إن الخضر مات: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو الحسين بن المنادي، وهما إمامان، وسئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر، وأنه باق؟ فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان، وكان ابن المنادي يقبح قول من يقول إنه حي"[١].

٦. وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد[٢].

٧. ويحسم شيخ الإسلام ابن تيمية الأمر بقوله: "والصواب الذي عليه المحققون أنه [الخضر] ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به، ويجاهد معه، كما أوجب الله ذلك عليه، وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم، وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار؛ ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيا عن خير أمة أخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين، ولم يحتجب عنهم"...، وإذا كان الخضر حيا دائما، فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك قط، ولا أخبر به أمته، ولا خلفاؤه الراشدون؟

٨. ويقرر السيوطي أن كل ما ورد في شأن الخضر، وحياته موضوع لا أصل له[٣].

رابعا: الدليل من المعقول.

سبق أن ناقشنا بالتفصيل الزعم عن حياة الخضر، ونوجز الحديث هنا: إن القول بحياته، ومعاصرته النبي ﷺ، ولا يأتيه مبايعا على رءوس الأشهاد، بحيث يصل إلينا الخبر متواترا صريحا، لا لبس فيه، ينطوي على إساءة بالغة للخضر عليه السلام، حيث أن ظهوره، ومساندته لدعوة رسول الله ﷺ، تجعل أهل الكتاب يدخلون في دين الله أفواجا، فالخضر عليه

١ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية صفحة١٣١

٢ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية صفحة١٣١

٣ ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٥: ١٦٤

Upload by : altawhedmag.com

السلام بزعمهم عاصر جميع أنبياء بني إسرائيل بدءا من موسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيي، وعيسى، عليهم جميعا الصلاة والسلام، وبذلك فهو شاهد عيان على التحريف، والغلو، والتفريط الذي حدث في الرسالات السابقة، فظهوره ومبايعته للنبي ﷺ يجعله قادرا على تصحيح التوراة، والإنجيل، وتطهيرهما من دنس التبديل والتغيير، وبالتالي يرون الحق، ولا يختلفون فيه، وهل يقبل المنطق الإيماني أن يتأخر الخضر عليه السلام عن هذه المهمة، ويستبدلها بصحبة الخَوَّاص والجيلاني؟

لو كان الخضر عليه السلام باقيا إلى الآن لكان تبليغه الأحاديث النبوية الصحيحة، وإنكاره للأخبار الواهية والموضوعة، وبيانه لما فسد من البدع، والشيع، والأهواء، وقتاله مع المسلمين ضد عدوهم، وشهوده الجمع، والجماعات، وتسديده لأراء العلماء، ونصحه للحكام، وتقريره للأدلة، وما يستجد من أحكام أفضل من اختفائه عن العيون، واجتماعه بمن لا يعرف حالهم.

فقارن يا أخي المسلم بين ما ينتظر الخضر عليه السلام من مهام، لو كان حيا، وبين المهام التي افتراها القائلون بحياته.

خامسا: من المرئي في قصص لقاء الخضر؟

لا بد من تفسير واضح لكل من يقول: جاءني الخضر، أو شاهدته يقظة، لا مناما، هل يكذب هؤلاء الناس مع أنهم يصلون، ويتعبدون، ومنهم من يكثر من النوافل؟، ومن الذي يأتيهم مع أن الخضر عليه السلام مات منذ أمد بعيد؟ ويجيب على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى بقوله: "والخضر الذي يأتي كثيرا من الناس، إنما هو جني تصور بصورة إنسي، أو إنسي كذاب، ولا يجوز أن يكون ملَكًا مع قوله أنه الخضر، فإن المَلَك لا يكذب، وإنما يكذب الجني والإنسي، وأنا أعرف ممن أتاه الخضر، وكان جنيا، لُبس على من يراه. - وفي المجلد ٢٧، يقول: "وكذلك الذين يرون الخضر أحيانا، هو جني رآه، وقد رآه غير واحد ممن أعرفه، وقال: إنني الخضر،وكان ذلك جنيا لُبِسَ على المسلمين الذين رأوه"[١].

ويزيد ابن تيمية الأمر إيضاحا بقوله: "ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق: إما حي أو ميت، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث،

١ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١ : ٢٤٩

Upload by : altawhedmag.com

فيظن أنه ذلك الشخص، أو مَلَك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لَمّا أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل الأصنام وتكلم المشركين، ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان، ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه، كما جرى ذلك لغير واحد من المسلمين، واليهود، والنصارى، وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون ويرد الودائع، ويفعل أشياء تتعلق بالميت" [١].

ويستطرد شيخ الإسلام، قائلا: "وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة، هم درجات، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم، وهم على مذهبهم، فالجن فيهم الكافر، والفاسق، والمخطئ، فإن كان الإنسي كافرا، أو فاسقا، أو جاهلا دخلوا معه في الكفر، والفسوق، والضلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم" [٢].

ويعلق الألوسي البغدادي في روح المعاني تعليقا طيبا، يقول فيه: "إن غاية ما يتمسك به القائلون بحياة الخضر حكايات منقولة، يخبر بها الرجل، أنه رأى الخضر، فهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟، وكيف له أن يغتر بقول الأشباح والأطياف: أنا الخضر، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى، فمن أين للرائي أن المُخبر له صادق ولا يكذب؟

وكيف يستسيغ العقل، والقلب السليم أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن عليهما الصلاة والسلام ولم يصاحبه، وقال: هذا فراق بيني وبينك، ثم يرضى لنفسه بمفارقة موسى عليه السلام، ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة، ولا جماعة، ولا مجلس علم، وكل منهم يقول: قال لي الخضر، وأوصاني الخضر، فيا عجبا له! يفارق الكليم، ويدور على صحبة جاهل لا يصحبه إلا شيطان رجيم، سبحانك هذا بهتان عظيم" [٣].

١ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢٧: ١٨

٢ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١١: ٢٨٧

٣ الألوسي البغدادي في تفسير روح المعاني ٥: ٣٢٦

Upload by : altawhedmag.com

وخلاصة القول: إن من يدعي صحبة الخضر، والاجتماع به في اليقظة: إما جاهل، أو مبتدع في الدين، وليحذر المسلمون من هذا الصنف من الناس الذين يدَّعون الولاية، ويلتفون في حلق الذكر، لا يذكرون الله بتلاوة القرآن، أو تعلم العلم النافع كما أمرهم، وإنما يتمايلون، ويتراقصون، ويبتدعون طرقا ما أنزل الله بها من سلطان.

سادسا: تجربة المؤلف مع بعض من يرون الخضر.

لقد بدأ اهتمامي بقصة موسى والخضر عليهما السلام [سنة ١٩٧١م] مع بداية رحلتي في السلوك إلى الله تعالى من خلال التصوف، وليسمح لي القارئ الكريم أن أحكي بصورة مختصرة تجربتي الصوفية، والتي خضتها كاملة وغير منقوصة، فقد تلقيت الطريق، وسلكت مراتب تهذيب النفس بمقاماتها السبع المعروفة، ثم كُلِّفت برتبة مشيخة الطريق، ومن ثم كنت أستفتح حضرات الطريق التي تقام في مسجد التحرير بميدان المحكمة بمصر الجديدة، ومسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها، ثم تلقيت الإذن بدعوة الخلق إلى طريق الحق، ثم الإذن بترقية السالكين إلى مقام المشيخة، وخلال أربعة عشر عاما عشتها في التصوف، فقد تعرفت على جمع غفير من رجال التصوف، ولمست بنفسي مكانة الخضر في الفكر الصوفي، وكلما مَنَّ الله تبارك وتعالى عليَّ فيها بحب العلم والقراءة، والاطلاع في مختلف العلوم الإسلامية، تعاظم في قلبي حب الكتاب والسنة، وكلما ازداد السقي من حياضِهما كلما تبين لي الشطط والغلو في الفكر الصوفي، واعتماده على فهم خاص من قصة موسى والخضر ولقائهما.

ولحكايات الصوفية والدراويش والمجاذيب عن لقاءاتهم واجتماعهم يقظة بالخضر عليه السلام مفعول السحر في نفوس المريدين، ولقد عايشت رجلين ممن يدعون الاجتماع بالخضر في اليقظة، ولم أدع الفرصة تضيع مني دون أن أحاورهم في هذا الشأن، وقد سألت أحدهما، وكان يدعى الشيخ عامر عن كيفية رؤيته للخضر، وكيف عرف أن الذي يراه هو الخضر؟ وأين رأى الخضر؟

وقد كانت إجابات الشيخ مفاجأة تامة لي، فقد رأى شبحا في مقصورة سيدنا الحسين في الليلة الكبيرة، يضحك له من بعيد، ففهم أنه يستدعيه إليه، فترك مكانه في المقصورة، وقصد ناحية هذا الشبح، فلما وصل إليه لم يجده، بل وجده قد ذهب حيث مكانه الأول، يقول الشيخ عامر: فوقر في قلبي أنه الخضر. وعلمت هيئته التي ظل يأتيني بها سنوات طويلة. ولما سألته:

Upload by : altawhedmag.com

هل قال لك هذا الشبح في أي يوم من الأيام، أنه الخضر؟

قال الشيخ: لا، لم يحدث في أي مرة أن قال أنه الخضر، ولا عرَّف نفسه بصفته العبد الصالح صاحب موسى. كل ما هنالك أن الشيخ عامر ظن في نفسه عندما رأى هذا الشبح في المرة الأولى، أنه الخضر، ومنذ ذلك الوقت، وهو يعامله على ذلك، ولا يتجرأ أن يسأل نفسه، أو شبحه هذا من أنت؟

سألته: هل رأيته يأكل، أو يشرب؟ وهل مسكته يوما، وأدركت أنه لحم ودم؟

فأجاب الشيخ: لا، إنه لا يأكل، ولا يشرب، وليس بشرا، إنما هو ملك من الملائكة.

وهنا كانت المفاجأة، فالرجل يعتقد أن الخضر ملك من الملائكة، وأنه يأتيه عندما يريده، أو يكون في ضائقة، ويحتاج إلى عون منه، والرجل سعيد بهذا الوهم، وأنه أصبح من خاصة الأولياء الذين يجتمعون يقظة بالخضر، وكل أمر يتلقاه عن شبحه هذا يؤديه على أكمل وجه، فليس عنده أوجب من طاعة الخضر على الوجه الأمثل، وكلما طال أمد اللقاءات كلما استقر قدمه في علم الباطن، وارتفع مقامه، فموسى لم يحتمل إلا ثلاث وقائع، وهذا يصاحبه من سنوات، والرجل لم ير من الخضر أفعالا، كما رأى موسى عليه السلام، وكل ما هنالك، أنه يتلقى تعليمات من الخضر، ولما سألته عن هذه التعليمات، أخبرني أنها معلومات عن زواره، وزائراته، وعن الأعمال، والأسحار التي يقوم بفكها، وإبطال مفعولها، وطرد الجن الذين يمسون الناس، ويخرجهم منهم، وينهاهم عن لبسهم مرة أخرى، وبهذا ترى الأمر تحول إلى تعامل مع الجن لا غير.

أما الرجل الثاني: فأمره عجبا فهو يزعم، أنه يجتمع يقظة بالخضر عليه السلام، فقد كان أمره أكثر عجبا، وكان يحكي لنا كيف كانت بدايته مع الخضر، حيث جاءه في المرة الأولى، وأجرى له عملية جراحية في عينيه أصبح بعدها قادرا على أن يتعامل مع الخضر، ويكلفه الخضر ببعض التكاليف الشاقة، والتي يؤديها كما طلبت منه، ولما كثرت صحبتي لهذا الرجل الذي كان يعمل طبيبا في ذلك الوقت، واطمأن إلى أنني أثق فيه، طلبت منه مثالا لتلك التكاليف، فصَارَحَني بالعجب العجاب، فقد ذهب إلى إحدى مريضاته وهي سيدة في الخمسين من عمرها على قسط من جمال، ولها ابنة شابة في ريعان الشباب، وأنهما تعلقتا به - الأم وابنتها - تعلقا شديدا، وكانتا تصابان بصداع شديد إذا غاب عنهن يوما، وتم تكليفه

Upload by : altawhedmag.com

بجماع إحداهن حتى ينصرف الصداع عنهن، فكانت تضحيته الكبيرة وحكمته البالغة أن جامع الأم حفاظا على بكارة البنت، وهو يعد ذلك واحدة من كراماته التي وقعت على يديه، وكانت دهشتي بالغة، فقطعت صلتي وعلاقتي به، ومنعته من حضور الحضرات، وحذرت الناس من التعامل معه دون أن أصرح لهم بما صارحني به. وقد أثارت أحوال هذين الرجلين فضولي الشديد للمعرفة، ودراسة الأمر برمته، وقد استغرقت الدراسة عقدين من الزمان، وتشعبت، وتنوعت وتعمقت، حتى عقدت النية على التصدي لهذه القضية، والله وحده من وراء القصد.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الأول

- العبد الصالح هو الخَضِر عليه السلام، وكنيته أبو العباس. ولا يتوفر دليل تستقر عليه القلوب يحدد نسب الخضر، وكل ما قيل في هذا الأمر لا يصح منه شيء.

- حياة الخضر لا تختلف عن غيره من الناس، ولا يصح كل ما روي عن امتداد حياته إلى الآن، أو إلى يوم القيامة، ولسنا ممن يترك أدلة القرآن الكريم، وصحيح السنة، ونصدق خرافات عين الحياة، وغيرها من تخاريف العجائز. نقول كما يقول أبو الفرج بن الجوزي، والدليل على وفاته: الكتاب، والسنة، وإجماع المحققين من علماء الأمة، وسلفها الصالح، والمعقول، وهؤلاء جميعا ينفون جميعا أي اختصاص لحياته على غيره من بني آدم.

- قد يرى المرء الجن في اليقظة، وربما تمثل له ذلك الجني في صورة حسنة، قائلا: أنا الخضر، أو قد يرى في منامه رجلا في هيئة طيبة، فيتمنى في نفسه أن يكون ما يشاهده هو الخضر عليه السلام، فتسول له نفسه، أو يُلقي الشيطان في أمنيته، أنه قد رأى الخضر، وربما يقول لهم ذلك الشيطان، أو الرجل ذو الهيئة الصالحة، أنه الخضر، فينسبون ذلك إلى الخضر، وهو من ذلك بريء.

- إن مزاعم الفرق الباطنية عن اجتماعهم بالخضر، أو أخذهم عنه، هي من جنس مزاعم الصوفية، وكلها من تلبيس إبليس.

Upload by : altawhedmag.com

الباب الثاني

مهمة الخضر

١. تمهيد وتعريف

٢. المعجزة والكرامة

٣. مهمة الخضر

٤. دلائل نبوة الخضر

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

تمهيد وتعريف

إذا أردنا أن نتعرف على مهمة الخضر عليه السلام، وهل هو رسول أم نبي أم ولي؟ نحتاج - قبل أن نعرض أقوال علماء الأمة في هذه القضية - إلى التعرف على مراتب البشر بين يدي الله، والتفاضل بين درجاتهم، بهدف بيان فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، والاتفاق على الأسس التي تساعد على تضييق الخلاف.

إن أشرف مقامات العباد عند الله ﷻ هو المقام المحمود المعروف بالوسيلة الذي أعده الله تبارك وتعالى لسيدنا محمد ﷺ، ولا ينبغي إلا له. ثم يأتي مقام أولي العزم من الرسل وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام. ثم تأتي منزلة الرسل، والأنبياء، ثم مرتبة عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين، وينبغي ألا يشذ أحد من المسلمين في فهمه هذا عن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالإيمان الحق لا يتم إلا بالإيمان بالرسل والكتب التي جاءوا بها من عند الله؛ لذلك نعرض فيما يلي: الفارق بين مقام الرسالة والنبوة والولاية؛ حتى نستطيع الإجابة - في الفصل التالي - على سؤال محدد عن مهمة الخضر عليه السلام، هل هو ملك من الملائكة أم رسول أم نبي أم ولي من الأولياء لا يرقى لمرتبة النبي؟ نقول وبالله التوفيق:-

أولا: تعريف الرسالة.

الرسول: معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وسمي الرسول رسولا؛ لأنه ذو رسول، أي ذو رسالة[١]، ورسالة الرسول: دعوته الناس إلى ما أوحي إليه، ورسالة المُصلح: ما يتوخاه من وجوه الإصلاح[٢].

١. **الرسالة**: اسم عام يشترك فيه الملائكة: قال تعالى: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج- ٧٥]؛ فالملائكة رسل يرسلهم الله ﷻ بأمره إلى عباده

١ لسان العرب لابن منظور

٢ المعجم الوجيز

Upload by : altawhedmag.com

الصالحين، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر - ١].

٢. والرسالة قد تأتي بمعنى التسليط والتقييض، كما يرسل الله تبارك وتعالى الشياطين على الكافرين تزيدهم ضلالا على ضلال: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم-٨٣].

٣. وأشرف أنواع الإرسال أن يبعث الله ﷻ بشرا رسولا يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الصفات اللازمة للأنبياء والمرسلين: أن يتصفوا "بالصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة"، ولا يشترط في الرسول أن يأتي قومه بشريعة جديدة، والدليل على ذلك، أن يوسف عليه السلام كان رسولا أرسله الله تبارك وتعالى في أهل مصر على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لقومه: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بالله مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف- ٣٨]، وقررت الآيات الكريمات رسالة يوسف عليه السلام في قول الحق تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر - ٣٤].

فالرسول مهمته البلاغ عن ربه، وبيان سبل الهدى، وطريق الرشاد، وتفصيل أصول الدين، وتوضيح أحكامه، وأوامره، ونواهيه التي يرحم الله بها الطائعين، وتقوم بها الحجة على الكافرين والمعاندين، وقد أطلعنا القرآن الكريم لحكمة يعلمها سبحانه على قصص عدد من الرسل، ولم يخبرنا عن غيرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله﴾ [الرعد- ٣٨].

ثانيا: تعريف النبوة.

النبوة: اسم مشتق من أَنْبَأَ فلان غيره يُنْبِئُهُ إِنْبَاءً، إذا أخبره بخبر ذي شأن، والأنبياء جمع نبي، وهو ذَكَرٌ من بني آدم أوحى الله تعالى إليه بأمر، والوحي هو وسيلة الإنباء، والنبي يتلقى وحي ربه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى- ٥١]، فالوحي ينحصر في طرق ثلاث:-

Upload by : altawhedmag.com

الطريقة الأولى من طرق الوحي:

أن يلقي روح القدس في قلب النبي، أو ينفث في روعه، دون أن يراه، والمراد بالروع هو: القلب، والعقل، والذهن، والخلد، ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ، قال: «إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»، وفي رواية: «إن روح الأمين نفث في روعي»، والمُرَوَّعُ في اللغة هو المُلْهَم، الذي يلقى في قلبه الصواب والصدق. والنفث يقع للنبي في يقظته ومنامه، فمن الثابت أن رؤيا الأنبياء حق، وصدق رسول الله ﷺ، حيث يقول: «الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين من النبوة»[1].

الطريقة الثانية من طرق الوحي:

هي الخطاب من وراء حجاب، كأن يسمع موسى كلام الله في البقعة المباركة من الوادي المقدس، أو من وراء حجاب الشجرة أو النار، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص-٣٠]، فجاء خطاب الحق تبارك وتعالى من حجاب الشجرة في البقعة المباركة من الوادي، وأيضا سماع رسول الله ﷺ خطاب ربه في المعراج، حين وصل إلى نهاية معراجه، حيث دنا أمين الوحي جبريل عليه السلام، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فشاهد رسول الله ﷺ أمين الوحي على هيئته وصورته التي خلقه الله عليها، حيث يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم١٥-١٣]. ثم خاطبه ربه من وراء حجب الكبرياء والعظمة، وأمره بالصلاة، وفرضها على أمته.

الطريقة الثالثة من طرق الوحي:

أن يرسل الله ﷻ أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام رسولا، منه سبحانه وتعالى إلى النبي، يبلغه بمراد ربه، ومنهج عبادته، سواء خلت نبوته من المعجزة، أو تحدى النبي

---

١ الرؤيا الصالحة (وفي رواية الحسنة) جزء من أربعين جزءا من النبوة، هكذا ورد عن جابر بن عبد الله في رواية أحمد، والترمذي، وأخرج مسلم في صحيحه، ومالك في الموطإ، وأحمد في مسنده، وغيره من رواية أبي هريرة جزء من ست وأربعين، كما وردت بألفاظ أخرى في رواية عبادة بن الصامت، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وأنس بن مالك: راجع الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد الشيباني ١٧: ٢١٠

Upload by : altawhedmag.com

قومه بمعجزة تقوم مقام قول الحق تبارك وتعالى: "صدق عبدي فيما أنبأ عني"، ولا توجد طريقة رابعة يمكن إضافتها، وهذا المعنى واضح تماما في أسلوب الحصر الذي عبرت به الآية القرآنية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى- ٥١]

الفرق بين النبي والرسول:

ذهبت المعتزلة إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول، والقرآن والسنة يؤكدان الفرق بينهما، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج-٥٢]، ولو كان النبي والرسول درجة واحدة ما جاء الخطاب بما يقتضي المغايرة. كما أكد حديث البراء بن عازب الذي رواه البخاري الفرق بينهما، حيث قال رسول الله ﷺ للبراء: ﴿إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ، ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول، قلت[1]: أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت، قال: " لا، وبنبيك الذي أرسلت" ﴾[2]، فلو كان النبي والرسول مقاما واحدا ما أكد رسول الله ﷺ على ذلك، لذا اجتهد العلماء في بيان الفرق بين النبي والرسول، فقالوا: أن الرسول أُمر بتبليغ الوحي إلى الناس، والنبي لم يؤمر بتبليغه، وهذا يعارض الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، حيث يقول رسول الله ﷺ: ﴿إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ﴾[3]. وأيضا يناقض مهمة التبليغ التي هي صفة لازمة للأنبياء، ولا يعقل أن يكون الوحي محجوبا عند النبي، ولا ينتفع به قومه. ولعل الصواب والله تعالى أعلم هو ما يراه كثير من العلماء أن الفرق بين النبي والرسول هو:

---

١ أي البراء بن عازب

٢ رواه البخاري في كتاب الدعوات من حديث البراء بن عازب رقم ٥٨٣٦

٣ صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ١٢: ٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com

١. أن الرسول هو من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله"[١].

٢. أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله.

٣. أن الرسول صاحب معجزة وكتاب، وشرع نسخ ما قبله، ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخصال فهو النبي.

٤. أن من جاءه المَلَك ظاهرا، وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك، بل رأى في النوم كونه نبيا، أو أخبره أحد من الرسل بأنه نبي، فهو النبي"[٢].

ويفرق شيخ الإسلام ابن تيمية بين العبد الرسول، والمَلِك النبي بقوله: "خيَّر الله سبحانه محمدا ﷺ بين أن يكون عبدا رسولا، وبين أن يكون نبيا مَلِكا، فاختار أن يكون عبدا رسولا، فالنبي الملك مثل: داود، وسليمان، ونحوهما عليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص ٣٥:٣٩]، أي أعطِ من شئت، واحرم من شئت، لا حساب عليك، فالنبي الملك يفعل ما فرض الله عليه، ويترك ما حرم الله عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحب ويختار، من غير إثم عليه، أما العبد الرسول: فلا يعطي أحدا إلا بأمر ربه، ولا يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء بل روي عنه ﷺ، أنه قال: ﴿إني والله لا أعطي أحدا ولا أمنع أحدا، إنما أنا قاسم أضع حيث أُمرت﴾، والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملك"[٣].

ثالثا: تعريف الولاية.

الولي في اللغة هو الناصر والمعين، وولي اليتيم من يتولى أمره، ويقوم بكفايته وكفالته، والولي الصديق والنصير، والْوَلْيُ القرب والدنو، والمولى الصاحب والقريب، والولاية في

١ روح المعاني للألوسي البغدادي ١٧: ١٥٧

٢ التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٣: ٤٩

٣ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١١: ١٨٠ - ١٨٢

Upload by : altawhedmag.com

الدين وصف لأهل الإيمان والتقوى، والولاية هي أرفع منازل أهل اليمين، وهي مقام أهل الإحسان الذين يراقبون الله ﷻ، ويخافون عذابه، ويرجون رحمته، والولاية الحقيقية هي في الاستقامة مع الإخلاص، وصدق المتابعة، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس٦٢:٦٤]، والولي محب لله ﷻ، متبع لرسوله ﷺ، ناصر ونصير لشرع ربه، مجاهد لأعداء الله بنفسه وماله، وخاذل للشيطان وحزبه، ومالك لنفسه جامح لهواها، فهو القريب لمولاه.

فالولي ينتصر لله ورسوله: باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، فهو عبد تقي نقي يخلص في طاعة مولاه ويعبده على بصيرة وعلم، ويخشى ربه وعذابه، ويرجو رحمته وثوابه، يتلمس رضا مولاه، لا يحيد عن سنة رسول الله ﷺ، حبب الله إليه الإيمان حتى تمكنت شعبه في قلبه، يكره المعصية كراهيته للشرك والكفر.

وقد اتفق سلف الأمة، وعلماؤها أن الأنبياء أفضل من الأولياء مطلقا، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا فريق من الصوفية والباطنية، فقالوا إن الولاية أفضل من النبوة، وهذا شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي يقول نظما:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي.

ولبيان الفرق بين مقام النبي ومقام الولي، لا بد أن نستعرض أحوال الأولياء في الكتاب والسنة، فقد ضرب القرآن الكريم أمثلة للأولياء، كما عرفنا رسول الله ﷺ أشرف أولياء الأمة الإسلامية، نعرض هذه الأمثلة فيما يلي.

الأولياء في القرآن:

يقدم القرآن الكريم نماذج من الأولياء نختار منها:-

• آصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل- ٤٠]، يقرر القرآن الكريم حقيقة هذه المعجزة التي جرت لسليمان عليه السلام على يد أحد أتباعه، إنما هو الفهم والعلم الذي ناله آصف من الكتاب، وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل- ٤٠]، فما كان الرجل مبتدعا في دين الله، ولا خارجا عن

Upload by : altawhedmag.com

المنهاج الذي أنزله الله تبارك وتعالى على داود، وسليمان عليهما السلام، ولعل سليمان عليه السلام أراد أن يُظهر فهم آصف بين أتباعه من الجن والإنس، حين طلب منهم إحضار عرش بلقيس، والله أعلم.

● **أم موسى عليهما السلام:**

صرح القرآن الكريم أن أم موسى قد تلقت وحيا عن ربها، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص-٧]، وفي آية أخرى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه٣٨- ٣٩]، هذه آيات مباركات، تنص صراحة على أن أم موسى تلقت الوحي عن الله، ولما بدأت في تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى، وألقت رضيعها في النهر، سارعت إليها العناية الإلهية، وجاءها مدد من الله يربط على قلبها.

● **مريم ابنة عمران رضوان الله عليه:**

التي خاطبتها الملائكة عدة مرات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران-٤٢]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران-٤٥]، وقوله عز من قائل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم-٢٥]، ولا نعرف اسما لخطاب الملائكة إلى مريم إلا الوحي.

● **ذو القرنين:**

الذي مكنه الله تبارك وتعالى في الأرض، وآتاه من كل شيء سببا، ومن ولايته لربه أن أوحى الله إليه: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾، [الكهف ٨٦ - ٨٧]، وهنا يختار ذو القرنين تطبيق منهج الله ﷻ: فمن ظَلَم، وأَفْسَد يُقام عليه حد ربه، وأما من أحسن فله الجزاء الكريم، فالولي لا يرتاح قلبه إلا بتطبيق الشريعة، والوقوف عند حدودها. كما أن نصرة

Upload by : altawhedmag.com

الضعيف: ومساندته، ودفع بغي الجبابرة من شيم الصالحين؛ لذلك بادر ذو القرنين إلى بناء سد يحول بين المفسدين، وهجماتهم البربرية على الضعفاء.

إن أمثلة الولاية في القرآن الكريم تشرح لنا أحوالهم: فهذا ينقل عرش بلقيس من اليمن إلى نبي الله سليمان عليه السلام، وأم موسى تلقي بوليدها في اليم، ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها تلد من غير أب، وذو القرنين يبني سدا، ويقيم حدود الله في قوم آخرين، ومع هذا لا يزعم أحد بنبوة هؤلاء!.

الأولياء في السنة:

وتعرفنا سنة النبي ﷺ أولياء الأمة وترتيبهم:

* أولهم الصديق رضي الله عنه:

صاحب النبي ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، الذي نصر الله به الدين وحفظه، قال عنه رسول الله ﷺ: ﴿ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر﴾.[1] وهذا رسول الله ﷺ يطلب من عائشة رضي الله عنها استدعاء أبي بكر، وهو في مرض الموت، يقول ﷺ: ﴿ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر﴾[2]

ويصف رسول الله ﷺ منزلة أبي بكر رضي الله عنه بقوله: ﴿إن مِن أَمَنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته﴾[3]

* ثاني الأولياء الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

صاحب رسول الله ﷺ، الذي أعز الله به الدين، وحازت مناقبه على كل سبق وكمال، وقد صح عن النبي ﷺ، أنه قال: ﴿أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة﴾، وفي رواية:

---

١ رواه أبو الدرداء، وعلي بن أبي طالب، رواه ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٤: ٣٣٩، ١١: ٢٢١، والذهبي، والدارقطني، والسمان في الموافقة نقلا، عن الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ١: ١٣٦، وهو غير ابن جرير الطبري المفسر والمؤرخ الكبير

٢ رواه مسلم في مناقب الصحابة، حديث عائشة رقم ٤٣٩٩

٣ متفق عليه، أخرجه البخاري في المناقب من حديث أبي سعيد الخدري ٣٣٨١، ورواه مسلم في مناقب الصديق ٢٣٨٢، والترمذي في المناقب حديث رقم ٣٦٦٠، وأحمد بن حنبل في المسند ٣: ١٨، والدارمي في المقدمة حديث رقم ٧٧

Upload by : altawhedmag.com

وشبابها ﴿من الأولين والآخرين ما خلا﴾، وفي رواية: بعد ﴿النبيين والمرسلين﴾.[١] من مناقب الفاروق ما يُروى، عن أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عُمَرُ﴾، وفي رواية أخرى: ﴿لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمُون، من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر﴾[٢]، وفي رواية أبي سعيد الخدري، قال: وكيف يحدث؟ قال رسول الله ﷺ: ﴿تتكلم الملائكة على لسانه﴾[٣].

ويشرح ابن حجر العسقلاني معنى المُحَدَّث بقوله: "الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملإ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به، وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: "المحدث الملهم بالصواب"، وفي رواية مسلم: "هي الإصابة من غير نبوة"، قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله وضع الحق [وفي رواية جعل الحق] على لسان عمر يقول به [وفي رواية على لسان عمر وقلبه]﴾[٤].

وقد بلغت موافقات الوحي آراء عمر رضي الله عنه أكثر من عشرة مواقف، ما بين موافقات الوحي لآراء لفظية أو معنوية منها، نظمها السيوطي في قصيدة[٥]، منها ما جاء في أسارى بدر وفي تحريم الخمر، ورفض صلاة الجنازة على المنافقين، وغيرته على نساء رسول الله ﷺ، بخلاف ما ورد على لسان عمر نفسه، حيث يقول: "وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن، أو ليبدلن الله رسول الله ﷺ خيرا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما

١ أخرجه الترمذي من حديث علي بن أبي طالب رقم ٣٦٦٥، ٣٦٦٦، وابن ماجة في سننه، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على المسند ١: ٨٠ حديث رقم ٦٠٢

٢ أخرجه البخاري في المناقب ٣٤١٣، وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٣٩٩

٣ أخرجه البخاري في مناقب عمر ٨: ٣٩ راجع كتاب فتح الباري

٤ رواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي ذر ٢:٣٣٥

٥ الحاوي للفتاوى للسيوطي ١١٣، قطف الثمر في موافقات عمر.

Upload by : altawhedmag.com

يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾ [التحريم - ٥][1] "، ولا شك أن شهادة رسول الله ﷺ التي يقول فيها: ﴿يا ابن الخطابِ والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك﴾[2]، هي أعظم دليل على منزلة ولي الله الفاروق عمر بن الخطاب، فالصواب يجري على لسانه، والشيطان يسير في وادٍ ليس فيه عمر، ومع هذا لا ينقص من ولايته لله أن تصيب امرأة، ويخطئ المحدث، فالعصمة لا تكون إلا لنبي.

إن أعلى الأولياء قدرا بعد الأنبياء أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، حيث صح عن النبي ﷺ، أنه قال: ﴿أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين﴾،[3] هذا الحديث يؤكد أن أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما أعلى الأولياء قدرا ليس على مستوى أمة الإسلام، وإنما سيدا أولياء الأولين والآخرين، ومنهم: آصف، وأم موسى، ومريم، وذو القرنين رضي الله عليهم أجمعين، ومع هذا لم ينل أي منهم مرتبة النبوة.

فلا بد إذن من بيان الفرق الجوهري بين النبي والولي؟، حتى نستطيع أن نعرف مهمة الخضر عليه السلام، وهذا الفرق يتعلق بنوع الخوارق التي تفصل بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وهذا ما سنناقشه بإذن الله تعالى في الفصل التالي.

---

١ متفق عليه: أخرجه البخاري في المناقب من حديث سعد رقم٣٤٠٧، ورواه مسلم في فضائل الصحابة ٢٣٩٦، وأحمد بن حنبل في المسند ١: ١٧٢، ١٨٢، ١٨٧

٢ متفق عليه: أخرجه البخاري في المناقب من حديث سعد رقم٣٤٠٧، ورواه مسلم في فضائل الصحابة ٢٣٩٦، وأحمد بن حنبل في المسند ١: ١٧٢، ١٨٢، ١٨٧

٣ روي عن علي بن أبي طالب وأنس وأبي جحيفة رضي الله عنهم، أخرجه الترمذي في المناقب حديث رقم ٣٦٦٥، ٣٦٦٦ وحسنه، وفي الباب، عن ابن عباس، وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند ١: ٨٠ حديث رقم ٦٠٣، وابن ماجة حديث ١٠٠، ٩٥

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني
المعجزة والكرامة

أولا: أنواع الخوارق.

يمكن تقسيم ما يظهر على الخلق من الأمور الخارقة للعادة إلى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: آيات الأنبياء ومعجزاتهم.

والمعجزة، والإعجاز: إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل، أو رأي، أو تدبير، وهي خاصة بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دون غيرهم من الناس، وهي تقوم مقام قول الله تبارك وتعالى: "صدق عبدي فيما بلّغ عني". والمعجزة يتحدى بها النبي؛ لنشر الدين، ويُثَبِّت بها أصحابه في الدين، ومن ذلك: "القرآن الكريم، والإسراء والمعراج، وبعثته إلى الإنس والجن". ومنها ما يتحدى المشركين كانشقاق القمر، ومنها ما يحقق حاجة المسلمين، كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ.

المرتبة الثانية: كرامات الصالحين أتباع الأنبياء والمرسلين.

والكرامة: عمل خارق للعادة يجريه الحق تبارك وتعالى على يدي وليه التقي الصالح، للدلالة على كرامته عند ربه. وهي موقوفة على الولي، ويكون كتمانها واجبا عليه، وإن أراد إظهارها، وإشاعتها زالت، وبطلت، وربما تكون موقوفة على الدعاء والتضرع، وفي بعض الأوقات يعجز عن إظهارها. ويقول أصحاب الكرامات أن ما حصل لهم إنما هو باتباعهم للأنبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا، وما يجري على أيديهم، إنما هو من جنس ما يجري للأنبياء. وهذا النوع من الخوارق يعين صاحبه على مباحات، ككرامات الصحابة والتابعين. والتي نذكر منها نقلا بتصرف عن شيخ الإسلام ابن تيمية استدلاله بكرامات السلف الصالح[1].

* إظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء، ودعائه بأن يُسقى قومه، ويتوضئوا عند فقد الماء، فأجاب الله دعاءه[2].

---

١ الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية مجلد ١١ صفحة ٢٧٨ - ٢٨١

٢ صفة الصفوة تلخيص ابن الجوزي ١: ٦٩٤ ترجمة رقم٩٨

Upload by : altawhedmag.com

* وخطاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فوق منبر النبي في المدينة المنورة لسارية رضي الله عنه وهو في الشام. وذلك أن أمير المؤمنين عمر أرسل جيشا، وأمّر عليهم رجلا يسمى "سارية"، فبينما عمر يخطب، فجعل يصيح على المنبر: يا سارية! الجبلَ، يا سارية! الجبلَ، فقدم رسول الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية! الجبلَ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله[١].

* وهذا أبو مسلم الخولاني يخاطبه الأسود العنْسي بعد أن ادعى النبوة، فيقول له: أتشهد أني رسول الله، قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار، فألقي فيها، فوجدوه قائما يصلي فيها، وقد صارت عليه بردا وسلاما، وقدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ، فأجلسه عمر بينه، وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله[٢].

* ومنها ما يتحدى بها صاحبها أن دين الإسلام حق، كما فعل خالد بن الوليد حين حاصر حصنا منيعًا، فقالوا له: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه ولم يضره[٣].

* ومنها استجابة دعاء العبد التقي الصالح كسعد بن أبي وقاص الذي كان مستجاب الدعوة، وقد استجاب الله دعاءه، وفتح الله له العراق، وهزم جيوش كسرى.

* وكغلام بني إسرائيل، الذي أنبأنا النبي ﷺ قصته، في حديث طويل، ما معناه: أنه كان يأتي الساحر؛ ليتعلم منه السحر، وكيف كان يتخلف عن مجلس الساحر، ويعرج على الراهب، يتعلم على يديه التوحيد، ولما اكتشف أمره لم يقدروا على قتله، فطلب الغلام منهم أن يجمعوا الناس، وقال لهم: أرموني بسهم، وسموا باسم الله، فإني أموت، فلما فعلوا ذلك آمن الناس برب الغلام، ومثل ذلك كثير.

١ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري عن عمر بن الحرث ١: ٣٢٦

٢ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ١:٣٢٨

٣ تاريخ الطبري لابن عساكر ٥: ١٠٦، وروى القصة أن أصحاب خالد حذروه قائلين: احذر السم لا يسقيكه الأعاجم، فقال: ايتوني به، فأتي منه بشيء فأخذه بيده، ثم اقتحمه [أي شربه]، وقال: بسم الله، فلم يضره.

Upload by : altawhedmag.com

المرتبة الثالثة: خوراق الكفار، والفجار، والسحرة، والكهان.

وهي عمل غريب يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب والضلال من المسلمين، وأصحاب الرياضات والمجاهدات، وهي أعمال مبنية على تمويه، لا حقيقة له، وتعتمد على الحيل. ويعين هذا النوع من الخوارق صاحبها على محرمات مثل: الفواحش، والظلم، والشرك، والقول الباطل، فهذا من جنس خوارق السحرة، والكهان، والكفار، والفجار.

ثانيا: مناقشة الخوارق.

نناقش في هذا الجزء الفرق بين المعجزة، والكرامة، وخوارق الكهان، ونلخص فيما يلي ما ذهب إليه علماء الأمة، ومنهم ابن تيمية، في كتبه: النبوات والفتاوى الكبرى وغيرها.

١. الفرق بين خوارق الكهان ومعجزات الأنبياء:

هناك فروق عديدة بين خوارق الكفار، ومعجزات الأنبياء منها:

* لا بقاء لخوارق الكهان كعصيِّ سحرة فرعون، بينما المعجزة باقية، كعصا موسى.
* أن خوارق الكهان لا حقيقة لها، ولا معنى، وقد تعتمد على الآلات، أو الحيل، وخفة اليد، والشعوذة، أو تكون من إعانة الشياطين لبني آدم، فإن الكاهن يخبره الجن، والساحر تعينه الشياطين، بينما معجزة النبي لا تنال بحيلة، ولا يتوصل إليها بواسطة الآلات.
* أن العوام يعجزون عن الإتيان بالخوارق، أما الحذاق والأذكياء فلا يعجزون عنها، بينما معجزة النبي يعجز الخواص والعوام على القيام بمثلها.
* أن خوارق السحرة متداولة بين الناس في جميع الأزمان، غير مختصة بوقت دون وقت، أما المعجزة، فمختصة بزمان النبوة، خارجة عن العرف، خارقة للعادة.
* أن خوارق أهل الضلال يمكن نقضها بخوارق عكسها، ولا سبيل للنقض إلى المعجزة.

٢. الفرق بين المعجزة والكرامة:

هناك اختلاف بين الفِرَق الإسلامية على طبيعة المعجزة والكرامة، والفرق بينهما. نذكر فيما يلي أقوال بعض الفرق[1] في ذلك:

١ نقلا بتصرف من كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥ - ١٨

Upload by : altawhedmag.com

* تقول المعتزلة: "لا تخرق العادة إلا لنبي، وبالتالي كذّبوا بكرامات الصالحين، وخوارق السحرة".
* تقول الجهمية: "إن خرق العادة جائز مطلقا، وكل ما خرق لنبي من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين؛ بل، ومن السحرة والكهان، لكن الفرق أن هذه تقترن بها دعوى النبوة، وهو التحدي، وأن كل ما خرق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء". وهذا قول لا يقدم فرقا معقولا بين المعجزة والكرامة.
* الصوفية وغيرهم من الناس: يفرقون بين معجزة النبي، وكرامة الولي بفروق ضعيفة، مثل: إن الفرق بين معجزة النبي، وكرامة الولي أن الكرامة يخفيها صاحبها، ولا يتحدى بها. وهذا قول غير دقيق، فكرامات الأولياء يظهرها الله، ولا يخفيها أصحابها، كما حدث مع الصحابة والتابعين، وتناقلته الأمة جيلا بعد جيل، والحقيقة أن معجزة الأنبياء التي بها تثبت نبوتهم، وبها وجب على الناس الإيمان بهم، فهي أمر يخص الأنبياء لا يكون للأولياء، ولا لغيرهم، بل يكون من المعجزات الخارقة للعادات الناقضة لعادات جميع الإنس والجن، غير الأنبياء.. ولا يقدر أحد من مكذبي الرسل أن يأتي بمثل آيات الأنبياء"[1]. والمراد بهذا النوع من المعجزات: "القرآن الكريم، والإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وفلق البحر".
* أن المعجزة مختصة بالنبي دائما، ووقت إظهار الآيات مرتبط بالوحي، وبمشيئة الله تعالى، ويقرن بالتحدي، وتحصل بالدعاء، ولا تكون ثمرة المعاملات المَرْضِيَّة، ولا يمكن تحصيلها بالكسب والجهد، ويكون أثر المعجزة باقيا بحسب إرادة النبي.
* الكرامة لا يقصد بها التحدي، وإنما هي دليل على صحة الدين، وصدق الإتباع، وأصلها من جنس المعجزة.
* أن الكرامة تعين صاحبها على المباح من الأمور، كالبركة في الطعام والشراب، واستجابة الدعاء، كدعاء سعد بن أبي وقاص على من ادعى عليه كذبا وزورا.

١ النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٢٨

Upload by : altawhedmag.com

* نظرا لرفعة مقام النبي على مقام الولي، فلا بد أن يمتاز الفاضل، بما لا يقدر المفضول على مثله، إذ لو أتى بمثل ما أتى لكان مثله لا دونه، وبالتالي تكون الكرامة أقل أثرا من المعجزة.

وهذه الكرامات لا ترفع صاحبها ولا تخفضه. وكرامات الأولياء تدل على صحة اتباعه للدين الذي جاء به الرسول، ولا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقول، ومن هنا ضل كثير من النصارى وغيرهم، فإن الحواريين - وهم ليسوا بأنبياء - كانت لهم كرامات، كما تكون الكرامات لصالحي هذه الأمة، فظن أتباعهم أن كراماتهم تستلزم عصمتهم، فاتبعوهم في كل ما يقولون، وهذا غلط وتلبيس خطير، فإن النبي وجب قبول كل ما يقول لكونه قال بالنبوة، ودلت المعجزة على صدقه، وتأييد الله له، والعصمة وصف لازم للنبوة، وبالتالي وجب متابعته في كل ما يُوحى إليه به.

ثالثا: الكرامة لها أصل في المعجزة.

يرى العلماء ومنهم الإمام الشاطبي، أن الكرامة التي لا أصل لها في المعجزات تعد باطلة، ويقرر ذلك في الموافقات في أصول الشريعة، قائلا: "ومن الفوائد في الأصل أن ينظر إلى كل خارقة، صدرت على يدي أحد، فإن كان لها أصل في كرامات الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته، فهي صحيحة، وإن لم يكن لها أصل، فغير صحيحة، وإن ظهر ببادئ الرأي أنها كرامة، **إذ ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة**، بل منها ما يكون كذلك، ومنها ما لا يكون كذلك. وبيان ذلك بالمثال أن أرباب التصريف بالهمم، والتقربات بالصناعة الفلكية، والأحكام النجومية، قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة، وهي كلها ظلمات بعضها فوق بعض، ليس لها في الصحة مدخل، ولا يوجد لها في كرامات النبي ﷺ منبع؛ لأنه إن كان ذلك بدعاء مخصوص، فدعاء النبي ﷺ لم يكن على تلك النسبة، ولا تجري فيه تلك الهيئة، ولا اعتمد على قران في الكواكب، ولا التمس سعودها أو نحوسها، بل تحرى، والتجأ إليه ﷻ، معرضا عن الكواكب، وناهيا عن الاستناد إليها، إذ قال ﷺ، عن الله ﷻ: ﴿أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.....﴾ الحديث القدسي"[1].

١ الموافقات للشاطبي ٢: ٢٦٢، والحديث متواتر رواه جمع من الصحابة، ومن الملاحظ أن عددا متزايدا من المسلمين لا ينتبه إلى خطورة النظر في الأبراج والمطالع، بل إن ركن الأبراج أصبح من الأركان الثابتة في الصحف اليومية، والقنوات التلفزيونية، وكثر

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: الآيات والمعجزات.

المعجزة عمل ليس في قدرة الإنس والجن، ودليلنا على أن الجن لا يقدر على الآية أو المعجزة: أن الله تبارك وتعالى أرسل الرسل ومعهم المعجزات إلى الإنس والجن، فلا بد أن تكون المعجزة خارجة عن مقدورهم أيضا، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام- ١٣٠]، أما ما يأتي به الكاهن أو الساحر، فغايته ما سمعه من جني استرق السمع، مثل الذي يستمع إلى حديث قوم، وهم له يكرهون سماع حديثهم.

ويمكن تقسيم الآيات إلى نوعين: جنس من نوع العلم، وجنس من نوع القدرة:

١. نوع من باب العلم:

وهو ما يخبر به الرسول من أنباء الغيب الذي اختص الله به نفسه، مثل: علمه بما سيكون من تفصيل الأمور الكبار على وجه الصدق، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن٢٦:٢٧]، فهي أمور مستقبلية لا يعلمها إلا الله، كغزو قوم من أمته بالبحر، ومنهم الصحابية الجليلة "أم حَرَام"، التي بشرها رسول الله ﷺ بمشاركتها جيشا يغزو، ويركب البحر، فكان أن شاركت في فتح قبرص - في ولاية معاوية رضي الله عنه -، وتوفيت، ودفنت بها رضي الله عنها.

وشهادة عمر، وعثمان، وعلي، وقتل عمار، تقتله الفئة الباغية، وقيام الحسن بالإصلاح بين فئتين كبيرتين من المسلمين، وغيرها مما وقع، وسيقع إلى قيام الساعة.

وهذا النوع من الإنباء بالغيب خص الله به الرسل فقط: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن- ٢٧]، حيث تكفل الله حفظ غيبه بعصمة نبيه، وذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن- ٢٧]، أما **الغيب الذي يستطيعه الإنس والجن، فهذا لا يستلزم العصمة**، ومن ذلك أن يخبر الولي بما يأكل الناس، أو ما يدخرون، وهذا النوع يشترك فيه ولي الرحمن، وولي الشيطان.

الخبراء فيما تقوله الأبراج والأفلاك، وهذا يدل على ضحالة المعرفة الإسلامية لدى جمهور المسلمين، وانسحاب دور العلماء من الساحة، فلا أحد يأمر بالمعروف، وينبه الناس على هذا المنكر.

Upload by : altawhedmag.com

٢. نوع من باب القدرة:

وهو القيام بأفعال لا يقدر عليها الإنس والجن، مثل ما أعطاه الله لسليمان من تسخير الرياح والطير، وشق القمر للنبي ﷺ وشق البحر لموسى، وتكثير الطعام والماء للنبي، وللمسيح عليهما الصلاة والسلام، ويستطيع الإنس والجن إحضار الطعام أو المتاع مما يغيب عن الناس، وأيضا نقل المال من مكان إلى غيره، كما نقل الهدهد ما غاب عن عين سليمان وعلمه. وينقسم النوع الأخير من المعجزات إلى ثلاثة معانٍ، هي:

* إيجاد معدوم: كخروج الناقة من الجبل بدعاء صالح عليه السلام.
* إعدام الموجود: كإبراء الأكمه، والأبرص بدعاء عيسى عليه السلام.
* تحويل حال الموجود كقلب عصا موسى ثعبانا[1].

خامسا: تميز الأنبياء على الأولياء.

ومما سبق يتبين أن الأنبياء يتميزون على الأولياء بخصلتين، هما:

- **العصمة**: وهي حفظ الله تبارك وتعالى للنبي من ارتكاب الإثم؛ فلا يليق بالقدوة أن يرتكب النقائص من الأفعال، أو الفواحش من الأقوال. هذا في غير الوحي، أما العصمة في الوحي: فهي أن لا يقدر الشيطان أن ينفذ إليه، أو يكون له حظ منه، وإلا نقل النبي رسالة ربه ناقصة، أو مشوشة وهذا ما ينفيه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج-٥٢].
- **المعجزة**: وهي خاصة بالأنبياء، وتشمل نوعي العلم والقدرة، بينما الكرامة للأولياء، وهي ميراثهم من متابعة الأنبياء، وتكون من جنس معجزة النبي، ما عدا الإخبار بالغيب، الذي يستلزم عصمة لا تكون إلا لنبي.

أصحاب الأحوال الرحمانية وأصحاب الأحوال الشيطانية:

وقد يكون من المتمم لهذا الفصل أن نُفرق بين كرامات الأولياء أصحاب الأحوال الرحمانية وبين أحوال أهل البدع والأهواء أصحاب الأحوال الشيطانية، وأبلغ من أظهر هذا الفرق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث يقول: "فالأحوال الرحمانية وكرامات أوليائه

١ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ١: ٦٧

Upload by : altawhedmag.com

المتقين يكون سببها الإيمان، فإن هذه حال أوليائه، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس٦٢-٦٣]، وتكون نعمةً لله على عبده المؤمن في دينه ودنياه، فتكون الحجة في الدين، والحاجة في الدنيا للمؤمنين، مثلما كانت معجزات نبينا محمد ﷺ كانت الحجة في الدين، والحاجة للمسلمين، مثل البركة التي تحصل في الطعام والشراب، كنبع الماء من بين أصابعه، ومثل نزول المطر بالاستسقاء، ومثل قهر الكفار، وشفاء المريض بالدعاء، ومثل الأخبار الصادقة، والنافعة بما غاب عن الحاضرين، وإخبار الأنبياء لا يُكذب قط، فأولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور.

أما أصحاب الأحوال الشيطانية، فهم من جنس الكهان يكذبون تارة، ويصدقون أخرى، ولا بد في أعمالهم من مخالفة للأمر، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. [الشعراء٢٢٢-٢٢١]، ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء ملابسا الخبائث، والنجاسات، والأقذار التي يحبها الشياطين، ومرتكبا للفواحش، أو ظالما للناس في أنفسهم وأموالهم"[١].

وسنناقش بتوفيق الله مهمة الخضر على ضوء هذه الأسس التي أشرنا إليها.

١ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١: ٨٥

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

مهمة الخضر

بعد هذا التمهيد السابق بيانه آنفا، نعرض بتوفيق الله تعالى أقوال علماء الأمة، وإجاباتهم على سؤال: ما مهمة الخضر عليه السلام؟ هل هو: ملك، أم نبي، أم ولي؟

أولا: الخضر مَلَك.

يقول رأي غريب أن الخضر ملك من الملائكة، وليس بشرا كما يتبادر إلى فهم الكثيرين، وهذا الرأي حكاه الماوردي، قال: "إن الخضر ملك من الملائكة يتصور في صورة الآدميين"[١]، ويصف النووي هذا الرأي بقوله: وهذا غريب وباطل"[٢]. ولا أعتقد أننا نحتاج إلى مزيد من البيان حول فساد هذا الرأي، إذ لو كان الخضر ملكا لصرح بذلك القرآن والسنة، ولما كان هناك وجه للغرابة والإعجاز في القصة.

ثانيا: الخضر ولي.

ذهب إلى ولاية الخضر الفرق الباطنية، وأغلب الصوفية، ويقرر أبو القاسم القشيري، أنه "لم يكن الخضر نبيا، وإنما كان وليا"، ثم ينفي العصمة عن الأولياء بقوله: " فإن قيل: فهل يكون الولي معصوما؟ قيل: أما وجوبا كما يقال في الأنبياء فلا، وأما أن يكون محفوظا، فلا يُصر على الذنوب، فلا يمتنع ذلك في وصفهم"[٣]، وخلاصة رأيه، ومعه جماعة من الصوفية، أن الخضر ولي غير معصوم.

ويقول الدباغ: "الخضر ليس بنبي، وإنما هو عبد أكرمه الله بمعرفته، وأمده بالتصرف في رعيته، وأعطاه من تمام التصرف وكمال المعرفة، ما يعطى للغوث من هذه الأمة المحمدية، وأدرك ذلك الخضر، بلا شيخ، ولا سلوك، بل أمده الله تعالى بذلك ابتداء، فهذه درجته، وهي لا تبلغ مبلغ النبوة، ولا الرسالة"، ثم يستطرد قائلا: "وكل غوث وقطب، وغيرهما من

---

١ نقلا عن الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١: ٤٢٩

٢ صحيح مسلم بشرح النووي ١٥: ١٣٦

٣ الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ٢٧٦

Upload by : altawhedmag.com

أصحاب التصريف، لا يفعلون شيئا، ولا يتصرفون في حادث إلا بأمر الله، وليس ذلك بنبوة، ولا رسالة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون". [١]

ونعرض فيما يلي الفرق بين وحي النبوة، وإلهام الأولياء حسب ما يراه الصوفية.

وحي الصوفية:

ينقل الشعراني قول ابن عربي الذي يوضح فيه الفرق بين وحي الأنبياء، ووحي الأولياء المزعوم لأقطابهم: "إن وحي الأنبياء لا يكون إلا على لسان جبريل يقظة ومشافهة، وأما وحي الأولياء، فيكون على لسان ملك الإلهام، وهو على ضروب، منه ما يكون متلقى بالخيال، كالمبشرات في عالم الخيال، وهو الوحي في المنام، فالمتلقى حينئذ خيال، والنازل كذلك، والوحي به كذلك، ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس، ومنه ما يكون معنى، يجده الموحى إليه في نفسه، من غير تعلق حس، ولا خيال ممن نزل عليه" [٢].

كما يحدد الشعراني صورَ تنزُّل وحي الإلهام على قلوب الأولياء بقوله: "إن صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر، فيفهم الولي من ذلك التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يُعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه، أو كلام نبيه ﷺ، فهناك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك"، ويستطرد الشعراني، ويجيب على تساؤل: هل يكون الإلهام بلا واسطة أحد؟ قائلا: "نعم، قد يُلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه ﷻ، فلا يعلم به ملك الإلهام، لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس إلى إنكاره، ومنه إنكار موسى على الخضر عليهما السلام، وعذر موسى في إنكاره أن الأنبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم إلا على يد ملك - لا يُعرف شرعا من غير هذه الطريق - فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك، ويريانه رؤية بصر، عندما يوحى إليهما، وغير الرسول يحس بأثره، ولا يراه، فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه، أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط،

١ الإبريز لعبد العزيز الدباغ ٣٠٧

٢ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني ٢: ٨٣، الذي يلخص فيه الفتوحات المكية لابن عربي الباب ٢٨٥

Upload by : altawhedmag.com

وهو أجَلُّ الإلقاء، وأشرفه إذا حصل الحفظ لصاحبه، ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضا"[١].

ثالثا: الخضر نبي.

وهذا الذي عليه جمهور أهل السنة وعلمائهم وهذه أقوالهم:-

* يقول القرطبي: "الخضر نبي عند الجمهور"[٢].
* ويقول أبو حيان وابن كثير: "وقد استدل بهذا على أن الخضر كان نبيا"[٣].
* وقال ابن الجوزي: "كثير من الناس ذهب إلى أنه نبي"[٤].
* ويرى ابن حجر العسقلاني: "وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقد يحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيا"[٥].
* ويرى الفخر الرازي: "الأكثرون أن ذلك العبد كان نبيا"[٦].
* يقول أبو إسحق الشاطبي: "وأما قصة الخضر عليه السلام، وقوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف- ٨٢]، فيظهر به أنه نبي، وذهب إليه جماعة من العلماء استدلالا بهذا القول"[٧].
* يؤكد الألوسي على اتفاق: "الجمهور على أن الخضر نبي، وليس برسول، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين"[٨].

إن اتفاق هؤلاء العلماء الأعلام، وإجماعهم على أن الجمهور يرون نبوة الخضر يجعلنا نبحث عن الحجة، والأدلة التي بنوا عليها إجماعهم الذي شذ عنه الصوفية والباطنية. بل إن هناك فريق من الصوفية يخالفون عامة المشايخ في شأن الخضر عليه السلام ومهمته.

---

١ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعراني ٢: ٨٤

٢ الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي

٣ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦:١٥٣

٤ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٥:١٦٨

٥ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١:٤٢٩

٦ التفسير الكبير للفخر الرازي ٢١:١٤٨

٧ الموافقات للشاطبي ٢:٢٩٦

٨ روح المعاني في تفسير القرآن للألوسي البغدادي ٥:٣٢٠

Upload by : altawhedmag.com

الخضر نبي عند بعض الصوفية:

ومن الصوفية من يرى الخضر نبيا، وليس بولي، ويصرح الشعراني في كتابه الميزان الخضرية برأيه، أن الخضر نبي، حيث يقول: "فتوجهت إلى الله تعالى، وسألته أن يجمعني على أحد عنده علم ذلك، فَمَنَّ الله تعالى عليَّ، وتفضل وأجاب سؤالي، وجمعني على سيدنا، ومولانا أبي العباس الخضر عليه السلام، وذلك سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة، بسطح جامع الغمري، حين كنت ساكنا فيه، فشكوت إليه حالي، فقلت له: أريد أن تعلمني يا نبي الله ميزانا أجمع بها بين مذاهب المجتهدين ومقلديهم، وأردها كلها إلى الشريعة، فقال عليه الصلاة والسلام: ألق سمعك، وافتح عين قلبك..."[١]. وهناك رأي آخر عجيب ذكره الثعلبي في عرائس المجالس، حيث يقول: "والصحيح أنه نبي معمر محجوب عن الأبصار"[٢].

١ الميزان الخضرية للشعراني ٨

٢ عرائس المجالس للثعلبي ٢٢٤

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

دلائل نبوة الخضر

الخضر عليه السلام نبي من الأنبياء، ويستطيع المتأمل للأوصاف الكريمة التي جاءت بها آيات القرآن الكريم، أن يجد فيها البيان والتفصيل الذي يحسم قضية نبوة الخضر عليه السلام، والتي منها:

أولا: رحمة الخضر.

يصف القرآن الكريم عطاء الله ﷻ للخضر عليه السلام بقوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الكهف- ٦٥]، وقد وصف الله تبارك وتعالى النبوة بأنها رحمة في مواضع كثيرة، منها ما جاء على لسان شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود-٢٨]، لاحظ التطابق التام في المعنى بين قوله تعالى في حق الخضر عليه السلام ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الكهف- ٦٥]، وقوله تعالى على لسان شعيب: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود- ٢٨]، ولما علمت قريش ببعثة رسول الله ﷺ، قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقوله محمد حقا لنزل عليّ، أو على أبي مسعود عروة بن مسعود الثقفي، أجابه القرآن الكريم، قائلا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف٣١-٣٢]، يقول القرطبي في بيان المراد من الرحمة في هذه الآية: "يعني النبوة" [1]، ولما كانت نبوة محمد ﷺ للناس عامة وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء-١٠٧].

ثانيا: ارتباط الرحمة بالعلم.

ومما يؤكد أن الرحمة في حق الخضر نبوة ارتباطها بالعلم، قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف- ٦٥]، وهذا يقتضي تلقي الخضر هذا العلم عن الله بلا واسطة بشر،ولا تعليم معلم، أو نبي آخر، أو مرشد عارف، بل هو علم لدني من عند الله ﷻ.

---

١ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٩٠٣

Upload by : altawhedmag.com

ثالثا: الخضر يتلقى الوحي.

يشرح الخضر عليه السلام أسرار أفعاله بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف-٨٢]، وهذا القول يناظر قول القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف- ٩]، فأفعال الخضر تنبع من مصادر ثلاثة: "الرحمة، والعلم عن الله، والوحي".

رابعا: إطلاع الخضر على الغيب.

أخبر الخضر عليه السلام، أنه خرق السفينة حتى يحفظ مال أصحابها المساكين، وهذا نوع من الغي يقدر عليه الإنس، والجن، والطير، أما ما لا يُقدر عليه إلا بإذن الله، علم أن الملك الظالم سيمر في المستقبل على السفن، وسيؤممها، وسيرى هذه السفينة، وسيفكر في الاستيلاء عليها، ثم سيشاهد عيبها فيقرر تركها، وهذا علم بغيب الصدور، سيحدث لهذا الملك في المستقبل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. [فاطر-٣٨]

وعندما قتل الخضر الغلام قام بمعجزة تجمع بين العلم والقدرة، فَقَتْلُ الغلام، وإطْلَاعُ موسى على كُفرِ الغلام لا يستطيعه إلا نبي، فتحقيق الخاتمة من العلوم الإلهية التي لا يُطْلِعُ الله الناس عليها إلا إذا كانوا أنبياء، فلم يحدث أنَّ وليا من الأولياء بشر بالجنة أو قطع بكفر غلام لم يكلف، وإذا فعل فمن يضمن صحة قوله، والأوضح من ذلك أن يخبر الخضر الكليم موسى عليهما السلام أن الله سيبدل والديه غلاما، وسيكون بارا بهما، قال تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف-٨١]، ولما بنى الجدار كان مطلعا على نوعين من العلم:

* الأول: حين علم أن تحت الجدار كنزا، وهذا يستطيعه الجن والحيوان، فالنمل يمكنه اختراق الجدار، ومعرفة ما فيه.
* والثاني: علمه أن الجدار لغلامين يتيمين في المدينة، وأن أباهما كان صالحا، هذا يقدر عليه أي مقيم في هذه المدينة، أما علم الغيب الذي عند الله، ولا يُطلع عليه إلا من ارتضى الله من رسول، فهو استمرار أجل الغلامين، وبقاء الجدار قائما حتى ذلك

Upload by : altawhedmag.com

الوقت، وعدم انهياره إلا في توقيت يضمن انهياره في وجود الغلامين بعد أن يبلغا أشدهما، ولا يوجد غيرهما من الناس حتى لا يقع نزاع حول الكنز.

خامسا: عصمة الخضر.

ورب قائل من الباطنية أو الصوفية، يقول: نحن نتفق على كل هذه المقدمات، ونختلف على النتيجة، نحن نقول: إن الخضر عليه السلام - شأنه شأن ذي القرنين - وليٌّ أُوتِيَ رحمة، وعلما، ووحيا، لكنه ليس بنبي، فاثبت لنا العكس؟

نقول والله الموفق: قولكم بولاية الخضر عليه السلام ينقص قدره، ويرفع عنه العصمة، بينما قولنا بنبوته إثبات لعصمته، فالاختلاف إذن محصور في الإقرار بعصمته، إذا قلتم بعصمته لزمكم الإقرار بنبوته، أما قولكم بولايته يلازمه انتفاء عصمته، وتدني منزلته عن جميع الأنبياء، ونذكركم بأن أشرف الخلق بعد الأنبياء: أبو بكر الصديق، ليس بمعصوم، وقد كان مترددا في جمع القرآن الكريم؛ حتى لا يفعل ما لم يأمر به النبي ﷺ، وظل عمر الفاروق يلح عليه، حتى شرح الله صدره لذلك، وهاهو عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الدين، والمحدث الملهم الذي يهابه الشيطان، ويفر منه، لا ينقص من قدره أن تصيب امرأة، ويخطئ هو، وعندما أصاب علي بن أبي طالب في بعض المواقف لم يتحرج الفاروق أن يمدح علم أبي الحسن، وكلاهما غير معصوم.

إن ما سبق بيانه يساعدنا الآن على إدراك الفرق الكبير بين قتل ذي القرنين للظالمين، وقتل الخضر للغلام، وهو ما أظهره القرآن الكريم تماما، فذو القرنين يعذب الذين ظلموا، وأفسدوا في الأرض، وهو مطالب بإثبات جرم كل منهم أمام الناس؛ حتى ينزل عليه ما يستحقه من عذاب، فمنزلة ذي القرنين هنا كمنزلة الإمام العادل الذي يتقدم السبعة الذين يظلهم الله بظله، يوم لا ظل إلا ظله، أما قتل الخضر للغلام، فقد عبر عنه موسى، بقوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف- ٧٤]، ولا شك أنه فِعْلٌ منكر في جميع الشرائع والأعراف، لذلك لم يكن أمام الخضر إلا أن ينسب الأمر إلى وحي الله له مع بيان وجه الرحمة في هذا القتل.

لا شك أن قول الباطنية بولاية الخضر إقرار منهم، أنه دون منزلة أبي بكر، وعمر رضوان الله عليهم: فكيف يقدم على خرق السفينة، وإزهاق الأرواح وقتل الأبرياء بمجرد

Upload by : altawhedmag.com

الإلقاء في خلده، وخَاطِرُهُ ليس بِمعصوم؟! ولهذا استدل العلماء بواقعة قتل الغلام على نبوته، وقالوا: "إن الخضر عليه السلام أقدم على قتل الغلام، وما ذاك إلا بما أُوحي إليه من المَلِك العلَّام، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده لأن خاطره ليس بِوَاجِبِ العصمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق"[١].

ويقول ابن حجر في الإصابة: "ومما يستدل به على نبوة الخضر ما أخرجه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس، قال: "قال موسى لما لقي الخضر: السلام عليك يا خضر، فقال: وعليك السلام يا موسى، قال: وما يدريك أني موسى؟ قال:أدراني بك الذي أدراك بي"[٢].

ويستدل الإمام الشاطبي بواقعة قتل الغلام على نبوة الخضر عليه السلام، فلا يعقل أن يسمح للأولياء أن يكرروا ما فعله الخضر، فيقول: "ويجوز للنبي أن يحكم بمقتضى الوحي من غير إشكال، وإن سلم فهي قضية عَيْن، ولِأَمر ما، وليست جارية في شرعنا. والدليل على ذلك أنه لا يجوز في هذه المِلَّة لولي، ولا لغيره ممن ليس بنبي أن يقتل صبيا لم يبلغ الحُلُم، وإن عَلِمَ أَنَّه طُبع كافرا، وأنه لا يؤمن أبدا، وأنه لو عاش أرهق والديه طغيانا وكفرا، وإن أُذِنَ له من عالِم الغيب في ذلك، لأن الشريعة قد قررت الأمر والنهي، وإنما الظاهر في تلك القصة أنها وقعت على مقتضى شريعة أخرى"[٣].

سادسا: عناصر النبوة في القصة.

لقد اشتملت قصة موسى والخضر عليهما السلام على جميع عناصر النبوة، فالنبوة تقتضي وجود نبي يتلقى وحيا عن ربه، وآية دالة على هذه النبوة، وإخبار من الله ﷻ بصدق النبي، ثم قوم - ينقص عددهم، أو يزيد - يتلقون هذه النبوة، وكل هذه العناصر ثابتة في

١ ابن كثير في البداية والنهاية ١: ٣٠٦، وينقل نفس الاستدلال، عن ابن الجوزي في عجالة المنتظر.

٢ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١: ٤٣٠، والربيع بن أنس يروي، عن أنس بن مالك، وروى له الأربعة، قال عنه العجلي: "بصري صدوق"، وقال أبو حاتم: "صدوق"، وقال النسائي: "ليس به بأس"، وقال يحيى بن معين: "كان يتشيع فيفرط"، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن سعد: مات في خلافة أبي جعفر المنصور، وقيل توفي سنة ١٣٩، أو ١٤٠، (راجع تهذيب التهذيب ٣: ٢٠٧ ترجمة رقم ٤٦١)

٣ الموافقات للشاطبي ٢: ٢٩٧

Upload by : altawhedmag.com

هذا اللقاء، فالله ﷻ أخبر موسى عليه السلام بالسفر إلى مجمع البحرين للقاء عبد الله الصالح، والوحي ثابت إلى الخضر عليه السلام، والآية الدالة الجامعة لهما هي إحياء الحوت، وسريانه في البحر عجبا، والقوم هنا موسى عليه السلام وفتاه، فما الغرابة في ذلك؟.

فإن قلت: هل يرسل الله رسولا إلى غيره من الأنبياء يتلقون عنه رسالة من ربه؟

نقول: نعم، إن في قصة أصحاب القرية في الذكر الحكيم الإجابة، حيث أرسل الله ﷻ رسولين إلى القرية، ثم أرسل نبيا ثالثا معززا لهما، وناقلا عن ربه، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [يس ١٣-١٤].

كما ورد في السنة ما يقرر نفس المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليسمع الصوت فيكون نبيا»، ويروى عنه ﷺ ما معناه: «كان فيمن سبق يبعث النبي إلى الرجل والرجلين»، وإلى هذا المعنى أشار الخضر عليه السلام بقوله لموسى عليه السلام: «يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله، لا أعلمه»، وفي آخر الحديث، يقول رسول الله ﷺ: «وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»، ويشير هذا الحديث إلى أن علم موسى والخضر عليهما السلام من مشكاة واحدة، وبحر واحد، قد اختص كل منهما بجزء لا يعلمه الآخر، وقد ذهب فريق من العلماء أن الخضر عليه السلام نبي أرسل إلى قومه، فاستجابوا له، ومنهم إسماعيل بن أبي زياد، ومحمد بن الحسن الرماني، ثم ابن الجوزي، ولا يوجد ما ينفي هذا الرأي، فليس هناك ما يمنع من وجود أكثر من نبي في وقت واحد، فقد عاصر كثير من الأنبياء غيرهم، مثل: إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق ولوط الذي هاجر حين أرسله ربه إلى قوم آخرين، وترك الخليل إبراهيم عليه السلام مع قومه، كما عاش داود وسليمان، وعاش يعقوب ويوسف، وأيضا موسى، وهارون، وشعيب: وأخيرا زكريا، وعيسى ويحيى صلوات الله عليهم أجمعين. قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، فموسى وهارون عليهما السلام رسل الله إلى بني إسرائيل، ولا شك أن أمما أخرى تعيش على الأرض آنذاك، ومعنى أن يسافر موسى، وفتاه سفرا طويلا لقيا فيه النصب والتعب، أنهما تركا ديار بني إسرائيل، ووصلا إلى قوم آخرين.

Upload by : altawhedmag.com

فما الذي يمنع أن يكون الخضر عليه السلام نذير تلك الأمة ونبيهم، ويرجح هذا الرأي: أن الخضر عليه السلام كان معروفا في قومه بالصلاح، وفي الصحيحان، عن رسول الله ﷺ: ﴿حتى إذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح، - قال: قلنا لسعيد بن جبير: خضر؟ قال: نعم، - لا نحمله بأجر﴾، وفي رواية أخرى: ﴿فحملوهم بغير نول﴾، وفي صحيح مسلم: ﴿فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة فكلماهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهما من غير نول﴾، وفي مسند أحمد: ﴿أن أصحاب السفينة وصفوا الخضر عليه السلام بقولهم: عبد الله الصالح، لذلك لا نحملونه بأجر﴾، فلو كانوا في ديار بني إسرائيل لعرف أصحاب السفينة موسى عليه السلام، بينما المعروف هنا هو العبد الصالح، والغريب هو موسى عليه السلام.

ولا خلاف على أن الصلاح وصف قرآني مقرون بالأنبياء: قال تعالى في وصف أنبيائه: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وفي حق إبراهيم الخليل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾، وفي حق لوط: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وهذا سليمان عليه السلام يدعو ربه بقوله: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، ولا يسعنا المقام أن نحصي الآيات القرآنية التي وردت في حق عيسى، وموسى، ويونس بن متى، وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تعبر عن نبوتهم بوصف الصلاح.

Upload by : altawhedmag.com

فتوى شرعية مهمة:

بعد أن فرغت من كتابة الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وفقني الله تبارك وتعالى إلى الاطِّلاع على مجموعة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وقد وجدت فيها العديد من الفتاوى التي تتناول موضوع كتابنا هذا، ومن توفيق الله تعالى، وتسديده أن قررت جميع الفتاوى ما ذهبنا إليه من اجتهادات، لذا فقد رأيت أن أشير إليها، كما يلي:

السؤال: هل الخضر صاحب موسى عليه السلام حي يرزق للآن؟ وهل هو نبي؟ وهل ذكر ذلك صراحة في الأحاديث النبوية الصحيحة؟... ما حقيقة الأمر؟

الجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله، وآله، وصحبه.. وبعد:

فالخضر نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، والصحيح أنه مات كغيره من البشر.. الصحيح من قول العلماء ما ذهب إليه الجمهور، من أن الخضر عليه السلام قد مات لظاهر العموم، في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾،

ثم ذكرت الفتوى الأحاديث التي استدللنا بها فيما تقدم.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الثاني

- إجماع علماء الأمة وسلفها الصالح حيث يرون نبوة الخَضِر عليه السلام ثابتة بالكتاب والسنة، وأن الله تعالى أرسله إلى غير بني إسرائيل، وأنه لا تقوم الحجة بآراء الناس وأهوائهم، ومن يقول بولاية الخضر عليه السلام إنما يريد في حقيقة الأمر أن ينفي عن الخضر مقام النبوة، الذي يلازمه العصمة، وبالتالي يريدون أن يقولوا، أن مقام الولاية يعطي صاحبه أكثر ما تعطي النبوة من العصمة، ألا وهو العلم اللدني، أو الباطني، وهذه الفِرَق لا تتبع سوى الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا.

- لقاء الخضر عليه السلام مع كليم الله تعالى يتضمن جميع عناصر النبوة، وأهم ما أثبتناه هو عصمة الخضر عليه السلام، وأن هذا لا يتأتى إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر عليهما السلام، ولا أوجب الله على الخضر متابعته، والالتزام بشريعته. وأن الخضر لم يكن مبعوثا إلى موسى عليهما السلام، ولا أوجب الله على موسى متابعته والالتزام بشريعته. فكلاهما له نبوة وشريعة، ولقاؤهما هو التقاء بين شريعتين؛ ليزداد كل منهما بالله تعالى علما.

- ليس في قصة موسى والخضر عليهما السلام خروج عن الشريعة، ولهذا لما بَيَّن الخضر لموسى عليهما السلام الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل، وافقه موسى، ولم يختلفا حينئذ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفا لشريعة موسى بعد أن شرح الخضر حيثياته لما وافقه موسى عليهما السلام.

- أن أدب موسى مع الخضر عليهما السلام، لا يعني رفعة مقام الخضر على موسى، فالمزية لا تقتضي الأفضلية.

- حقا إن رجوع السالك إلى فتاوى العلماء يفيده، ويبصره بما في سلوكه من أخطاء قد تقوده من حيث لا يدري إلى العديد من المفاهيم الباطلة المنحرفة، وفي ذلك الوبال، والخطر العظيم.

Upload by : altawhedmag.com

الباب الثالث

تأملات حول اللقاء

١. مَشَاهِد في حياة موسى.

٢. سبب اللقاء.

٣. أحداث اللقاء.

٤. أضواء على اللقاء.

٥. دروس وعِبَر.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول

مشاهد في حياة موسى

ذكر القرآن الكريم جوانب عديدة من حياة موسى عليه السلام، ولا تجد نبيا، أو رسولا ذُكر في كتاب الله مثل موسى عليه السلام، وقد ورد في الأثر ما معناه يوشك القرآن أن يكون كله لموسى، وما ذلك إلا لعلو قدره عند ربه؛ فهو أحد أولي العزم من الرسل: "نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"، ولذلك تتعدد الجوانب في قصة نبي الله موسى عليه السلام، وسنختار منها ثلاثة مشاهد تخص بحثنا هذا، ونحاول بتوفيق الله تعالى تأملها، والتعرف على مدلولاتها.

أولا: ميلاد الكليم.

أرسل الله موسى إلى بني إسرائيل؛ ليخرجهم من ذل وجور فرعون مصر المُتَأَلِّه على الناس الذي لم يقنع بقوله: أنا ربكم الأعلى، بل راح يستبيح الأعراض، ويقتل الأطفال. وقد كان لميلاد موسى عليه السلام إرهاصات كثيرة - شأن الأحداث الجسام التي تقع في ملك الله - تُقَدِّمُ لها وتُمَهِّد الطريق، وصدق الله العظيم القائل: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف-١٠٠].

فكان من هذه الإرهاصات أن أشاع كهنة فرعون، وسدنة معابده، أن غلاما سيولد في بني إسرائيل، يرث ملك فرعون، ولا شك أن خبرا كهذا كفيل أن يوغر صدر أي حاكم، فما بالك بفرعون؟ الذي لم يتردد في إصدار أوامره بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل. سارعت الزبانية من حراس أمن الفرعون في القبض على الرضع من الأطفال، وذبحهم، ولسان حال القدر يقول لفرعون: لن نربي الموعود إلا في بيتك، فلما ولد موسى خاطب الوحي الإلهي أمه، قائلا: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص- ٧].

وإذا تدبرنا هذا الأمر، وأحضرنا ألف أم مكان أم موسى ما أَجَبْنَ إلا بلسان واحد: لن أدع ابني من حضني، ولئن قتلوه بين يدي أهون من إلقائه في النيل، وهو لا يملك من أمر نفسه شيئا، تتقاذفه الأمواج، وتتخاطفه التماسيح، ولولا أن ربط الله على قلب أم موسى، فأمدها بالطمأنينة والسكينة، حتى دفعت بوليدها، وخالفت فطرة بني جنسها.

Upload by : altawhedmag.com

شاءت إرادة الله أن تتهادى أمواج النيل بمهد الوليد إلى عرين الطاغية، وما أن شاهده الخدم، والعبيد حتى تسابقوا بالنبأ إلى مليكتهم الطيبة آسية امرأة فرعون، فما أن طالعت وجهه الجميل حتى سرت أنوار قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه- ٣٩]، ملأت شغاف فؤادها، فاستولت محبته على قلبها، فراحت ترجو فرعون أن يجعله ابنا لها، وقبل فرعون على مضض، وأتم الله على أم موسى النعمة بتحريم المراضع عليه، حتى سعت جنود فرعون إليها، لا ليقتلوا وليدها، وإنما ليدعوها؛ لتعيش في قصر فرعون مربية لموسى.

وسارت الأيام لا تحمل جديدا، الكل راضٍ وسعيد، إلا فرعون الذي لا تفارقه نبوءة الكهنة... "سيأتي غلام من بني إسرائيل يهزم جندك، ويجلس على عرشك، وعلامته أنه سينتف شعرة من لحيتك"، إلى أن جاء يوم جلس فرعون يداعب الوليد، فأمسك موسى بلحيته، ونتف شعرة منها، حينئذ قفزت النبوءة إلى ذهنه، فهاج، وماج، وجمع الكهنة، واستشارهم، فخوفوه، وأنذروه، فأمر بإحضار الوليد ليقتله، منعتهم آسية، وأخذت موسى في أحضانها، وهرولت إلى فرعون وأعوانه، تخاطبهم بالعقل والحجة والدليل، وتثبت لهم أن الصبي لا يدرك ما فعله بلحية مليكهم، وتدعوهم إلى اختبار يحدد إدراك الصبي لما يفعل، فقالت: احضروا طبقا فيه تمر، وآخر فيه جمر، وقدموهما للغلام كما يقدم الطعام، فإن ترك الجمر، وأكل التمر، فهو لكم افعلوا به ما شئتم، أما إذا ترك التمر، وأكل الجمر، فهو لا يدرك، ولا يعي ما تزعمون، فقبل الكهنة التحدي؛ ربما إرضاء للملكة، أو ثقة منهم في صدق نبوءتهم، والأمر في حقيقته إنفاذ لمشيئة الله تعالى، فقربوا الطبقين بين يدي الصبي، والجميع يترقب حركته، فما أن مد موسى عليه السلام يده إلى التمر حتى أخذها جبريل الأمين عليه السلام، والتقط بها جمرة، ووضعها في فم الكليم، كأنه يقول لهم: إنه لا يعرف ما ينفعه، وما يضره، فأصاب الجمر لسانه، ويشير إلى هذا المعنى قول الله سبحانه على لسان موسى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه٢٧- ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص- ٣٤]، كما عايره فرعون بعد ذلك بقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف-٥٢]. وهذه القصة أشار إليها القرطبي، وغيره في تفسير سورة طه، حيث يقول رواية، عن ابن عباس: ﴿كانت في لسانه رتة، ذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم، وهو طفل، فلطمه لطمة، وأخذ بلحيته، فنتفها، فقال فرعون لآسية: هذا عدوي، فهاتي الذباحين، فقالت آسية: على رسلك؛

Upload by : altawhedmag.com

فإنه صبي لا يفرق بين الأشياء، ثم أتت بطستين، فجعلت في أحدهما جمرا، وفي الآخر جوهرا - وفي رواية تمرا - فأخذ جبريل بيد موسى، فوضعها في النار، حتى رفع جمرة، ووضعها في فيه على لسانه، فكانت تلك الرتة ﴾[1].

ويتبادر إلى الذهن التساؤل الآتي: ما الحكمة من وضع الجمر على لسان موسى عليه السلام، وكيف يُبعث نبي إلى أصعب الأمم مراسا، وأقساها قلوبا، ثم يكون في لسانه رتة؟ حتى أنه طلب عون أخيه في مخاطبة قومه، سنحاول أن نجد الإجابة من تأمل قصة موسى والخضر.

ثانيا: موسى القاتل البريء.

نشأ موسى في بيت فرعون، وتعاقبت عليه الأيام والأعوام، وهو السيد المطاع، يحوطه الخدم والحشم، وحنان أمه، والبارة الصالحة آسية امرأة فرعون، حتى أطلق الناس عليه اسم ابن فرعون، وفي يوم من الأيام بينما موسى عليه السلام يسير إلى حيث يعيش بنو إسرائيل، إذ هو برجلين: أحدهما فرعوني يريد أن يُسَخِّر الآخر، وهو إسرائيلي فأبى، فتشاجرا، وكانت الغلبة للفرعوني، فاستغاث الإسرائيلي بموسى، وطلب نصرته، ورفع الظلم عنه، فأراد موسى أن يبعد هذا الطاغية، فوكزه. والوكز لغة، هو: "الضرب بجمع الكف"، والوكز: لا يكون أداة قتل، إلا أن الرجل سقط بلا حراك، وراح موسى، وصاحبه يقلبان الرجل، فإذا به ميت، لا نبض فيه.

لا شك أنها مفاجأة كبرى؛ فالنتيجة مخالفة تماما للمقدمات، فنيَّة موسى نصرة الضعيف على القوي الظالم، وهذا أمر تدعو إليه الشرائع الإلهية، والأعراف المشهورة بين الناس، وما تعمد موسى قتلا ولا بغيا، والنتيجة التي لا مفر منها تلك الجثة التي تعد دليلا ماديا على جريمة القتل، وتبحث عن القصاص، فما كان من موسى إلا أن توجه إلى ربه، يطلب الصفح والغفران مع إقراره بظلم نفسه، وتَقُصُّ علينا الآيات المباركات، من قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ

١ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥: ٤٢٣٢، والطبري في جامع البيان في تفسير القرآن ١٦: ١٢٦، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٢٢: ٤٨، وابن كثير في البداية والنهاية ١: ٢٣٣

Upload by : altawhedmag.com

أَهْلِهَا[1] فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ۞ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص ١٤:١٩].

وما لبث أهل القتيل أن ذهبوا إلى فرعون يتهمون بني إسرائيل بقتل صاحبهم المصري، فقال: أحضروا لي قاتله، أو شاهدا عليه، فبينما هم يبحثون عن القاتل، ولا يجدون بينة، أو دليلا عليه، إذا موسى وقد أصبح خائفا من الله عز وجل أن يأخذه بقتل النفس التي حرم الله - وقيل خائفا من قومه أن يسلموه - فصادف الإسرائيلي نفسه مشتبكا مع مصري آخر، ويستغيث أيضا بموسى عليه السلام، فنهره موسى قائلا: إنك لغوي مبين، أي مضل بيّن الضلالة، قتلتُ بسببك نفسا بالأمس، وتدعوني اليوم لقتل آخر، فعلم المصري من قتل قتيلهم بالأمس، كما خاف الإسرائيلي في نفس الوقت من بطش موسى، بعد أن أغلظ له القول، فانطلق من يبلغ أهل القتيل بالنبإ الذي ينتظرونه. إلا أن عناية الله سبقت، وقبل أن يصل أهل القتيل إلى موسى عليه السلام، جاء رجل من أقصى المدينة يسابق خطاه محذرا موسى، وناصحا له بالخروج من مصر حرصا على حياته، قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص ٢١-٢٠].

ثالثا: لقاء موسى وشعيب.

طلب موسى من ربه النجاة من القوم الظالمين، وأن يهديه سواء السبيل، فهو هارب مطلوب من ملك فرعون، ولكن موسى لا يعرف إلى أين؟ وإلى أي إتجاه تسوقه الأقدار، وليس

---

١ في قوله تعالى: ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ توجيه إلهي للحكام، إذا أرادوا أن يعرفوا الحقائق أن يدخلوا الأماكن على حين غفلة من أهلها؛ حتى يروا ما يحدث بين الناس، فلو دخل موسى في موكب وحرس لما شاهد ظلما ولا جورا، وربما سيق الفرعوني والإسرائيلي؛ ليصطفوا على الطريق هاتفين بحياته.

Upload by : altawhedmag.com

له وهو في مصر أن يتجه إلا إلى الشرق من وادي النيل، فاستعان بالله قائلا: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص-٢٢]، فسار إلى صحراء سيناء، بلا زاد، ولا صاحب، ولا دليل، حتى عبر سيناء إلى رأس خليج العقبة حاليا حيث ديار مدين، ولنا أن نتصور حالته، ومدى الجهد والإعياء الذي أصابه من هذه الرحلة الشاقة، وقد وصل لتوه إلى موضع بئر، تجمع حوله الرعاة يشربون، ويسقون دوابهم، ولم يبادر أحدهم بنجدة هذا الغريب القادم إلى نبعهم، والوارد على مائهم، سواء بتقديم الماء إليه، أو حتى مجرد الفضول والسؤال عن حاله، بل على العكس من ذلك، نرى موسى يراقب القوم، وهم يتزاحمون على الماء، يفوز به أقواهم، ولا مكان للضعيف حتى ينتهي السادة والفتيان، ومن دونهم فتاتان تحاولان الوصول إلى الماء، ولا تجدان من يعينهما، أو يفسح لهما المجال، يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص٢٣- ٢٤]، فاندفع موسى لعمل المعروف؛ فالمروءة والإيثار سجية من سجاياه، غير ناظر إلى أجر، أو ثواب من أحد، فرفع صخرة عظيمة كانت على فم البئر، وأفسح الطريق لدوابهن، وسقى لهن، ثم آوى إلى الظل مناجيا ربه موقنا بأن الذي كتب لكل نفس رزقها، قد أنزل إليه رزقه، فكان من عظيم أدبه أن دعا ربه، قائلا: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص-٢٤]، فأجابه الحق سبحانه من فوره: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[القصص٢٥:٢٨].

ولما استمع شعيب لبناته، وحديثهن عن مروءة هذا الغريب، وكرم أخلاقه، وما كان منه، دعاه إلى بيته، فلما استمع إلى قصته أدرك أنه من أهل التوحيد، والمروءة، والقوة، والأمانة، فتوسم فيه أن يكون النبي الذي ينتظره.

مما سبق بيانه يظهر لنا أن هناك ثلاثة أحداث عجيبة في حياة الكليم، لا بد أن وراءها حكمة بالغة، وتحتاج منا إلى تأمل، وتفكر عسى أن نوفق بإذن الله تعالى إلى فهمها وهي:

Upload by : altawhedmag.com

- في طفولته: حادثة الجمر التي تسببت في رتة لسانه.
- في شبابه: وكز الرجل، فمات من فوره، واتهامه بالقتل، وفراره من قومه.
- ثم عمله أجيرا عند شعيب عشر سنوات. وجميع هذه الأحداث وقعت قبل أن يختصه الله بالنبوة والرسالة والكلام، وقبل أن يعود ثانية إلى فرعون مبشرا ونذيرا.

وسنحاول إلقاء الضوء على هذه الأحداث في الباب التالي بإذن الله.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني

سبب اللقاء

جاء في كتب الحديث والتفسير أن سبب سفر موسى للقاء الخضر هو قول موسى، أنه أعلم أهل الأرض، وقيل طلب موسى أن يزداد علما إلى علمه، وربما كلاهما معا:

١. أما السبب الأول، فدليله: ما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ، قال: ﴿بينما موسى في ملإ من بني إسرائيل جاءه رجل، فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه﴾ (١). وفي رواية أخرى: ﴿أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسُئِل: أي الناس أعلم؟، فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبد هو أعلم منك﴾ (٢).

٢. أما السبب الثاني، فدليله: حديث النبي ﷺ، الذي يقول فيه: ﴿إن موسى هو نبي بني إسرائيل سأل ربه، فقال: أي رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه، فقال: نعم، في عبادي من هو أعلم منك، ثم نعت له مكانه، وأذن له في لقيه﴾ (٣). ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿سأل موسى ربه، وقال: رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني، ولا ينساني، قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق، ولا يتبع الهوى، قال: أي رب أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علم نفسه، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى، أو ترده عن ردى، قال: رب، فهل في الأرض أحد؟ قال: نعم، قال: رب، فمن هو؟ قال: الخضر، قال: فأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت﴾ (٤). وفي حديث آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: ﴿قال:

---

١ أخرجه البخاري من حديث أبي بن كعب ٦: ٣٣٤

٢ أخرجه البخاري من حديث أبي بن كعب ٦: ٣٣٥، والطبري في تفسيره ١٥: ١٨٠، والترمذي في سننه في كتاب التفسير ٢:١٢، وقال حديث حسن صحيح

٣ أخرجه الطبري في تفسيره من حديث أبي بن كعب ١٥: ١٨

٤ أخرجه الطبري في تفسيره ١٥: ١٧٩

Upload by : altawhedmag.com

[أي موسى عليه السلام]: فأي عبادك أعلم؟ قال: عالم لا يشبع من العلم، يجمع علم الناس إلى علمه ﴾[١].

إن أعظم اختصاص للأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو العلم عن الله ﷻ، فهم أعلم خلقه به، أفاض الله عليهم من رحمته، وأمرهم بالبلاغ والبيان؛ لذا تراهم لا يحجبون العلم عن الناس، بل إن هدف رسالاتهم أن يعلموا الناس، ويجاهدوا في الله حق جهاده؛ حتى يخرجوا أقوامهم من الظلمات إلى النور، والله سبحانه يخاطب رسوله، قائلا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه- ١١٤]. فطلب العلم والمزيد منه توجيه إلهي، وفطرة الله التي فطر الأنبياء والمرسلين عليها. إن موسى عليه السلام رسول الله إلى بني إسرائيل لا يشك أنه أعلم قومه، ونحن نشاركه هذا اليقين، ففيم العتاب إذا أجاب بالنفي حين سئل: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ الجواب على ذلك، والله تعالى أعلم، أن العتاب جاء تعليما لموسى عليه السلام، فبنو إسرائيل لا يمثلون كل من يعيش على الأرض، وربما كان هناك أقواما آخرون، يعيشون في بلاد تبعد عن ديار بني إسرائيل، ولا يمنع وجود نبي في بني إسرائيل أن يرسل الله رسلا آخرين إلى أهل تلك البلاد، والتفاضل بين الأنبياء منهي عنه، وحذرنا منه النبي ﷺ بقوله: ﴿لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ﴾[٢].

إن إجابة موسى عليه السلام أنه أعلم أهل زمانه، إجابة تحتاج إلى تعليم من الله وتنبيه، فهذا مقام لا ينبغي إلا لسيد ولد آدم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ؛ فهو النبي الموصوف بأنه أعلم زمانه، بل وكل زمان منذ آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو المبعوث للناس كافة، ورحمة الله للعالمين، لذلك كان العتاب تنبيها لموسى عليه السلام، فهو وإن كان أعلم بني إسرائيل إلا أنه لم يحط بكل علوم أهل زمانه، ولم يرقَ لمقام أعلم أهل الأرض، حيث لن ينال هذا المقام إلا خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين. أما إذا كان سبب السفر هو سؤال موسى عليه السلام لربه، أي عبادك أعلم؟، قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، ففي الإجابة دلالة على نهم طالب العلم، ورغبته الدائمة في تلقي علوم الآخرين إلى علمه، وروي في الأثر، ما

١ أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث ٦١٨٤

٢ متفق عليه، أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء حديث رقم ٣١٤٤، ٣١٦١، وتفسير القرآن ٤٢٦٢، وفي التوحيد ٦٩٨٥، وأخرجه مسلم في الإيمان ١٦٥، وفي الفضائل ٢٣٧٧، وأبو داود في السنة ٤٦٦٩، وأحمد في مسنده ١: ٢٤٥، ٣٤٢

Upload by : altawhedmag.com

معناه: ﴿منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال.﴾، وأيا كان سبب اللقاء، فالأهم ما جرى عند اللقاء.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث
أحداث اللقاء

أولا: آداب اللقاء

يقص علينا القرآن الكريم في موضع واحد من سورة الكهف قصة لقاء الكليم موسى، وعبد الله الصالح الخَضِر، بينما لا يكاد يخلو كتاب من كتب السنة النبوية المطهرة من ذكر القصة كاملة، أو بعض أجزائها، وهذا الاهتمام يلفت العقول، والأفئدة إلى تدبر هذه القصة، وتأمل ما فيها من دلالات، فتعالَ بنا يا أخي، نحيا في رحاب اللقاء الفريد من نوعه. أراد الله تبارك وتعالى أن يكون اللقاء عند مجمع البحرين، وجعل لذلك آية ذكرها البخاري في صحيحه، عن رسول الله ﷺ، قوله على لسان موسى، قال: ﴿أي رب، كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتا في مكتل [وعاء من خوص]، فحينما فقدت الحوت فاتبعه. قال: فخرج موسى، ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة، فنزل عندها، قال: فوضع موسى رأسه فنام، فلما استيقظ موسى قال لفتاه: آتنا غداءنا - قيل: ولم يجد النصب حتى جاوز ما أُمِر به ﴾، يحكي لنا الحديث الشريف ما كان عند اللقاء بين موسى والخضر: ﴿إذا هما برجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، قال: وأنَّى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟ قال له الخضر: يا موسى إنك على علم من علم الله، علمكه الله، لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله، علمنيه الله، لا تعلمه، قال: بل أتبعك، قال: فإن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء حتى أُحْدِث لك منه ذكرا ﴾[1].

وفي رواية أخرى: أن موسى، قال: ﴿جئت لتعلمني مما علمت رشدا، قال: أما يكفيك أنَّ التوراة بيديك، وأنَّ الوحي يأتيك، إنَّ لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وأن لك علما، لا ينبغي لي أن أعلمه، فأخذ طائر بمنقاره من البحر، قال [الخضر]، والله ما علمي وعلمك -وفي رواية وعلم الخلائق-، في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر ﴾[2].

---

١ متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث ٤٣٥٨، ومسلم في الفضائل ٢٣٨٠، والترمذي ٣١٤٩، وأحمد في مسنده ٥: ١١٦، ١١٧، ١٢٢

٢ أخرجه البخاري، من حديث أبي بن كعب رقم٤٣٥٧

Upload by : altawhedmag.com

وفي رواية ثالثة: فلما ركبا في السفينة ﴿وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، أو نقرتين، فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر﴾ (١).

يقرر الخضر عليه السلام حقيقة هامة، ينبغي أن نتأملها جيدا، وهي أن علم موسى والخضر عليهما السلام كقطرة في بحر علم الله سبحانه، ويؤيد ذلك - والله تعالى أعلم - قول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان-٢٧]، فكلمات الله ﷻ لا تنتهي، ولو أن الأشجار أقلام، وماء البحار صار مدادا، ما نفدت كلمات الله، وما أحاط الأنبياء إلا بقطرات، كالتي شربها العصفور، وهذا المعنى أشارت إليه الآية الكريمة التي خاطبت البشر جميعا: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء- ٨٥]، يظهر لنا من التفكر في هذا الجزء من القصة ما يلي:-

- أن الخضر ليس من بني إسرائيل بدليل سفر موسى سفرا بعيدا للقائه.
- يعلم الخضر أن موسى نبي الله إلى بني إسرائيل، حين قال له: موسى بني إسرائيل، فقد أورد البخاري في رواية أخرى قول الخضر: ﴿أما يكفيك أن التوراة بيدك، وأن الوحي يأتيك، إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه﴾. (٢)
- أن موسى عليه السلام أطلع فتاه يوشع على الآية، والعلامة التي عندها يجدون الخضر: ﴿فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه﴾ (٣).
- أن فتى موسى عليه السلام شاهد آية إحياء الحوت، وتحركه، وجريانه في البحر أثناء نوم موسى عليه السلام، كما في رواية سعيد: ﴿إذ تَضَرَّب - تضرب: أي تحرك، وعاد إلى الحياة - الحوت، وموسى نائم، فقال فتاه: لا أوقظه حتى إذا استيقظ، فنسي أن يخبره، وتَضَرَّب الحوت حتى دخل البحر﴾ (٤). لما نسي يوشع أن يُخبر موسى، سارا قليلا، ثم طلب موسى من فتاه الغداء، قائلا: آتنا غداءنا، لقد لقينا في سفرنا هذا

١ أخرجه البخاري حديث رقم ١١٩، ورواه مسلم، والترمذي، وأحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك ٢

٢ أخرجه البخاري حديث رقم ٢٠١٩٩

٣ أخرجه البخاري في كتاب العلم حديث رقم ٣١٤٨

٤ أخرجه البخاري حديث رقم ٤٣٥٧

Upload by : altawhedmag.com

نصبا. يبين الحديث أن موسى عليه السلام لم يجد النصب حتى جاوز ما أُمِر به، وكأنه يُذكّر فتاه أن يقص عليه ما حدث من أمر الحوت به.

- رد الخضر على تحية موسى عليهما السلام بقوله: ﴿وأنّى بأرضك السلام﴾، فيها إشارة إلى طبيعة اليهود وسعيهم الدائم إلى الحروب، وإشعال الفتن؛ فالخضر لم يقل: وأنّى بالأرض السلام، وإنما خصص الوصف ببني إسرائيل، قوم موسى عليه السلام.
- بيان ما ينبغي أن يتحلى به طالب العلم من آداب في الاستئذان، وطلب الصحبة.
- اشتراط المعلم على طالب العلم ما يراه مناسبا.

ثانيا: خرق السفينة.

بعد أن تم اللقاء، ووضعت شروطه، وبدأت الصحبة، سار الركب المبارك قليلا على ساحل البحر، حتى شاهدوا سفينة، فطلبوا من أصحابها أن يحملوهم، يقول النبي ﷺ: ﴿فانطلقوا يمشون على الساحل، فمرت بهما سفينة، فَعُرِف الخضر، فحملوهم في سفينتهم بغير نول﴾[1]، وفي رواية: أن أصحاب السفينة عرفوا الخضر لقوله ﷺ: ﴿فقالوا: عبد الله الصالح، - [قال: قلنا لسعيد: خضر، قال: نعم]- لا نحمله بأجر، فخرقها، ووتد فيها وتدا، قال موسى: أخرقتها؛ لتغرق أهلها، لقد جئت شيئا إمرا -قال مجاهد: منكرا-، قال: ألم أقل: إنك لن تستطيع معي صبرا، [كانت الأولى نسيانا]، قال: لا تؤاخذني بما نسيت، ولا ترهقني من أمري عسرا﴾. إذا تأملنا مشهد السفينة تظهر لنا الحقائق التالية:-

١. أن موسى عليه السلام سافر قريبا من ديار الخضر عليه السلام؛ فأصحاب السفينة عرفوا الخضر، وقالوا: عبد الله الصالح، ولم يعرفوا نبي الله موسى عليه السلام.
٢. أن القول باحتجاب الخضر عن الأنظار لا أساس له من الصحة، فالخَضِر معروف في قومه، وموصوف بالصلاح، وقد رآه موسى، وفتاه، وأصحاب السفينة، وأهل القرية.
٣. أن موسى وهو الكليم، الذي تلقى التوراة، والمأمور في نفس الوقت بالسفر للقاء الخضر؛ حتى يتعلم ما عنده من العلم، لم يعطل العمل بالتوراة، ومن ثم بادر بالاعتراض على خرق السفينة، فهو عمل منكر في جميع الشرائع الإلهية.

---

١ أخرجه البخاري، وبغير نول: أي بدون أجرة حفاوة بالخضر عليه السلام ومن معه، ومازال نفس اللفظ يستخدم للتعبير عن أجر النقل البحري ليس فقط في اللغة العربية وإنما على المستوى العالمي (النولون).

Upload by : altawhedmag.com

٤. أن الخضر لم يطلب من موسى عليهما السلام أن يوقف العمل بالتوراة حال صحبته حتى لا يعترض على أفعاله، وإنما قال له: ﴿فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾. [الكهف- ٧٠]

٥. بلاغة اعتذار موسى عليه السلام، وذلك قوله: ﴿وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف- ٧٣]، فما يراه من فعل الخضر منكر في شريعته، وتكليف الله له، والعسر في أن لديه الآن أمرين من الله، الأول: في التوراة، والثاني: فعل الخضر الذي أمره الله باتباعه.

ثالثا: قتل الغلام.

رغم قِصَر المشهد الثاني إلا أنه يعد أشق مشهد على قلب موسى عليه السلام، يقول الحديث: ﴿فانطلقا إذا هما بغلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فقطعه، قال له: موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس، لقد جئت شيئا نكرا، قال: ألم أقل لك، إنك لن تستطيع معي صبرا﴾[1]. من سياق هذه الحادثة نلمح ما يلي:-

١. لم يمنع اعتذار موسى عليه السلام في المرة الأولى أن يحتكم إلى التوارة، ويطبق أحكامها على فعل الخضر عليهما السلام، ثم يبادر إلى إنكار قتل النفس الزكية.

٢. زيادة الحدة في أسلوب الخضر بعد المخالفة الثانية لموسى عليهما السلام، لذلك أضاف كلمة لك، إلى عبارته التي ينبه فيها موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف-٧٥]، زيادة في التذكير والتنبيه.

رابعا: الجدار المائل.

انطلق الركب حتى دخلوا قرية، لا تعرف للكرم سبيلا، ولا لمساعدة الغريب، أو عابر السبيل طريقا، ولا عجب أن منعوهم حق الضيافة، ونستكمل القصة، كما وردت عن النبي ﷺ، حيث يقول: ﴿فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض، فقال: بيده هكذا، فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القرية، فلم يضيفونا، ولم يطعمونا، لو شئت لاتخذت عليه أجرا، قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾،

تدلنا أحداث هذا المشهد على النقاط التالية:-

١ أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن حديث رقم ٤٣٥٨

Upload by : altawhedmag.com

١. أن موسى عليه السلام لم يغفل عن أحكام التوراة لحظة واحدة، وفيها العين بالعين، والسن بالسن، فالقوم منعوهم القِرى؛ لذلك كان الأَوْلى طلب الأجر على إقامة الجدار.

٢. التزام موسى والخضر عليهما السلام بالشروط التي قرراها عند اللقاء.

تلك هي الوقائع الثلاث التي دار حولها اللقاء بين موسى والخضر، ولا شك أننا جميعا نشارك رسول الله ﷺ رغبته أن يطول اللقاء أكثر من ذلك، كما ورد في الحديث الشريف الذي يقول فيه: ﴿يرحم الله موسى، لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما﴾[١]. وفي رواية أخرى: ﴿رحمة الله علينا، وعلى موسى، لو كان صبر لقص الله تعالى علينا من خبره، ولكن قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذرا﴾[٢]. وكانت إرادة الله أن يكون الفراق عند هذه القرية بعد أن يفسر الخضر لموسى عليهما السلام ما كان من أمره، هذا التفسير يُظهر لنا تماثلا عجيبا بين هذه الوقائع الثلاث، وبين المشاهد الثلاثة التي وقعت في حياة موسى عليه السلام.

١ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل حديث رقم ٤٣٨٥

٢ أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٢٠٦

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع

أضواء على اللقاء

أولا: الملك الظالم وفرعون.

تقص علينا آيات القرآن الكريم تفسير الخضر عليه السلام لخرق السفينة، حيث يقول الله سبحانه: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف-٧٩]. إن هذه الآيات على بساطة ألفاظها جلت الأمر، ولم تدع فيه أي تساؤل، فهؤلاء الصيادون البسطاء يعتمدون على سفينتهم، في الحصول على لقمة العيش، وهم لم يُبتلوا بقطاع طرق، أو عصابة من المفسدين فقط، وإنما بملك ظالم، يحرمهم من سفنهم، ويستولي عليها، فكان العيب الذي أحدثه الخضر عليه السلام في حقيقته ضرر بسيط عاجل درءا لمفسدة كبيرة آجلة، وهي قطع أسباب الرزق؛ فالسفينة لا يملكها مسكين واحد، بل عدة مساكين. وإذا رجعنا إلى ما ذكرناه آنفا في "مشاهد في حياة موسى عليه السلام"، فإننا نرى تشابها بين قصة خرق الخضر عليه السلام للسفينة، وقصة موسى عليه السلام في طفولته نوضحه فيما يلي:-

* ولد موسى عليه السلام بين اليهود، وهم قوم مستضعفون في مصر. وسفينة الخضر لمساكين يعملون في البحر.
* وراء موسى ملك ظالم، هو فرعون يأخذ كل مولود لبني إسرائيل غصبا. والملك الظالم في قصة الخضر يأخذ كل سفينة للمساكين غصبا.
* الجمرة على لسان موسى كانت سبب نجاته؛ ليكون هاديا لقومه. وعيب الخضر للسفينة كان سببا لنجاتها، وبقائها سببا لرزق أصحابها.

Upload by : altawhedmag.com

ثانيا: قتيل موسى وقتيل الخضر.

روى أبي بن كعب، عن النبي ﷺ، أنه قال: ﴿الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ يوم طُبِعَ كافرا، وكان أبواه قد عطفا عليه، فلو أنه أدرك - أدرك: أي بلغ سن الإدراك والرشد - أرهقهما طغيانا وكفرا﴾،[1] ورواية مسلم، وأبي داود: ﴿ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا﴾، كما ورد عن صاحب العرس والعرائس، قوله: "إن موسى لما قال للخضر: أقتلت نفسا زكية، اقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبدا"، ربما يتساءل البعض عن حكمة قتل هذا الغلام، وما جناه؟ والأمر يحتاج إلى تأمل لحقيقة المشيئة الإلهية، فكم من طفل يموت بين ذراعي والديه؟، وكم من جنين يسقط من رحم أمه قبل أن يكتمل وليدا؟، والناس لا تتساءل عن حكمة وفاة هذا أو ذاك، إلا أن التسليم لمالك الملك أن يفعل في ملكه ما يشاء من أصل الإيمان. لذلك تجد التساؤل عن قتل الغلام يبرز؛ لأن الموت هنا جاء بفعل نبي الله الخضر عليه السلام، وبأمر من الله لقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾؛ لذلك عرض علينا القرآن جانب الرحمة في القضية، وهو إبدال والديه بمن هو أبر منه وأرحم. ولو شرح الخضر قتله للغلام بقوله إن أجله انتهى الآن، وقد أمرني الله بقتله لكان السبب مقنعا، طالما أن الفاعل نبي، والآمر هو واهب الموت والحياة، فلا يُسْئَلُ عما يفعل، فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يرى في المنام، أنه يذبح ولده، فما تردد لحظة في تنفيذ أمر ربه، ونبي الله إسماعيل قدم نفسه طاعة لأمر ربه، أما ما الحكمة في أنْ يَتِمَّ القتل أمام موسى؟، فلعل - والله تعالى أعلم - أن في ذلك شرحا للحادثة الثانية في حياة موسى، يوم استغاث به الإسرائيلي، فبادر إلى رفع الظلم عنه، ووكز الفرعوني، فمات من فوره، وما قصد موسى، ولا فعل ما يوجب موت الرجل إلا أن أجله قُضي من ساعته. إن هذه الحادثة هي السبب الوحيد في إخراج موسى من مصر، وسفره إلى مدين أوصله إلى النبي الصالح شعيب عليه السلام، ثم الزوجة الصالحة، وعصا النبوة، إذن فقتل الفرعوني كان لإبدال موسى قوما أفضل من قومه، حتى يعود إلى بني إسرائيل، وهو النبي كليم الله القادم؛ ليخرجهم من جور فرعون. ويبقى موسى

---

١ أخرجه مسلم في فضائل زكريا والخضر عليهما السلام ١٥: ١٤٥، وفي كتاب القدر ١٦: ٢١١، وأبو داود في كتاب السنة حديث رقم ٤٧٠٥، ٤٧٠٦، وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس رقم ٦١٨٨، وأخرجه الترمذي، ٣١٥٠ وقال: حسن غريب، ورواه أحمد في مسنده ٥: ١١٩-١٢١

Upload by : altawhedmag.com

عليه السلام محتاجا لمن يُبرئ ساحته من تهمة القتل الخطأ، فيأتيه الخضر عليه السلام، ويقتل الغلام عمدا، ويقدم له الحكمة أن وراء قتل الغلام رحمة بوالديه. لذلك قيل: إن موسى عليه السلام قال للخضر: إني قتلت نفسا، لم أؤمر بقتلها، وهي ظالمة كافرة، فأجابه الخضر: وأنا أمرت بقتل نفس زكية، لم ترتكب ذنبا يوجب قتلها، وحتى وإن كانت مطبوعة على الكفر إلا أن المراد الرحمة بوالديها.

ثالثا: الجدار والبئر.

يقول الحق سبحانه ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف-٨٢]، أما التماثل بين هذا التفسير وبين حياة موسى عليه السلام فواضح جلي. إن موسى عليه السلام دخل إلى مدين، وقد اعتراه التعب والنصب، ولم يلق من أهل مدين أي ضيافة أو كرم حتى أنه بعد أن سقى لبنتي شعيب جلس تحت شجرة، يقول: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. [القصص-٢٤]، وهو نفس ما حدث للخضر وموسى حين أبى أهل القرية أن يضيفوهما، فموسى عليه السلام لم يطلب أجراً لسقيه أنعام بنتي شعيب، وكذلك الخضر لم يطلب أجراً لبناء الجدار.

كان الجدار لغلامين يتيمين في المدينة، وكان أبوهما صالحا، ويختبئ تحت الجدار كنزٌ، سيظهره الله لهما بعد سنوات، يشتدُ خلالها عودهما. وموسى لقي بنتا شعيب وأباهما صالحا، ولإثبات التماثل بين القصتين ينبغي أن يجد موسى عند شعيب كنزا ينتفع به موسى بعد سنوات، ولكن أين الكنز في قصة موسى؟!

رابعا: موسى والكنز.

كان موسى في ريعان الشباب، وفتوة الرجال، بينما شعيب الذي سماه نبينا محمد ﷺ: "خطيب الأنبياء" في وقار الشيخوخة، ورشد الحكماء، ولا شك أن حياتهما معا لسنوات عشر، قد هيأت فرصة نادرة، ونبعا صافيا، ينهل منه موسى عليه السلام، ليس هذا فقط، وإنما هناك أيضا كنز أبقاه الحق سبحانه لموسى عند شعيب عليهما السلام، ذكره المفسرون في كتبهم، يقول الفخر الرازي: "إن شعيبا كانت عنده عصا الأنبياء عليهم السلام، فقال لموسى بالليل: إذا

Upload by : altawhedmag.com

دخلت ذلك البيت، فخذ عصا من تلك العصي، فأخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة، ولم تزل الأنبياء يتوارثونها، حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام، فقال: أرني العصا فلمسها، وكان مكفوفا، فضن بها، فقال: خذ غيرها، فما وقع في يده إلا هي، سبع مرات، فعلم أن له معها شأنا"،[1] ويقول القرطبي: ذكر القشيري: "أن شعيبا لما استأجر موسى، قال له: ادخل البيت، وخذ عصا من العصي التي في البيت، فأخرج موسى عصا، وكان أخرجها آدم من الجنة، وتوارثها الأنبياء، حتى صارت إلى شعيب، فأمره شعيب أن يلقيها في البيت، ويأخذ عصا أخرى، فدخل وأخرج تلك العصا، وكذلك سبع مرات، كل ذلك لا تقع بيده غير تلك، فعلم شعيب أن له شأنا"،[2] لذلك أدرك شعيب أن موسى عليهما السلام هو النبي الذي ينتظره؛ ليسلمه بأمر الله الكنز المختبئ عنده، وقد كان من شأنها ما قصه القرآن الكريم. لو صحت هذه الأخبار لكانت العصا كنزا عظيما ادخره الله لموسى، حتى إذا قَضَى الأَجَل وخرج بأهله وجاءه الأمر من ربه، عُلِمَ شأن العصا ودورها الكبير في حياة بني إسرائيل. أما إذا لم يقم دليل على صحة هذه الأخبار، فهناك عصا يملكها موسى، سواء وجدها عند شعيب، أو حصل عليها من أي مكان آخر إلا أن الله تبارك وتعالى أرادها أن تكون آية من آيات موسى عليه السلام، وكنزا من أعظم كنوز بني إسرائيل، فهي التي تلقفت ما صنع السحرة، وبها انفلق البحر، فكان كل فرق كالطود العظيم، ولما ضرب موسى بها الحجر انفجرت منه اثنتا عشرة عينا تسقي القوم. كما يمكن إضافة لما سبق أن نرى الكنز يتمثل في صحبة موسى لشعيب، التي أتاحت فرصة فريدة، أقام خلالها نبي قبل بعثته في بيت نبي أدى أمانته، وبلغ رسالته. إن هذه الرعاية الخاصة بالكليم تمثل في حقيقتها إعدادا متميزا، وتأهيلا رفيع المستوى، إذن فسقيه الماء لكريمتي شعيب كان سببا في اجتماعهما، وضَمِن له مَعِينًا لا ينضب طوال عشر سنوات من صحبة نبي كريم، وبعد انقضاء الأمد أصبح موسى عليه السلام مؤهلا لتلقي رسالة ربه من فوق طور سيناء، لذا كان فراق موسى لأهل مدين، ولا نعرف إن كان شعيب عليه السلام قضى نحبه قبل انقضاء السنوات العشر، أم لا.

١ التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٤: ٢٤٦

٢ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦: ٤٩٩٣

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الخامس

دروس وعبر

أولا: تأملات في اللقاء.

إننا حين نتأمل هذا التماثل بين ما جرى على يد الخضر، وبين الوقائع الثلاث في حياة موسى عليهما السلام، لا نكون متجاوزين إذا قلنا أن الخضر عليه السلام يجيب موسى عن التساؤل الذي ربما دار في نفسه - والله أعلم - عن الحكمة من ورائها، فجاءت القصة كلها إجابة على لسان الخضر؟. نقول ربما استحى موسى عليه السلام أن يسأل أمين الوحى عن أشياء تتعلق بشخصه، ولا تتعلق برسالته، كما أن موسى عليه السلام أجاب السائل عن أعلم الناس، فقال: أنا أعلم الناس، فكان إرساله إلى الخضر عليه السلام خطابا من الله سبحانه له بمعنى: كيف تكون أعلم الناس، وأنت لا تجد تفسيرا لأحداث وقعت لك في حياتك، فكان اللقاء أبلغ في دلالته حين أراه الخضر عليه السلام ما أثار تساؤله، والمراد إجابته على أسئلة، لم يَطَّلع عليها إلا الله ﷻ، وإلى هذا المعنى أشار ابن حجر العسقلاني، بقوله: "ذكر الثعلبي، أن الخَضِر قال لموسى: أتلومني على خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، ونسيت نفسك حين أُلقيت في البحر، وحين قَتَلْت القبطي، وحين سقيت ابنتي شعيب احتسابا"[1]. ونحن لا نُحدد أهداف القصة في تلك المعاني فقط، بل إن أهدافها أجلّ من أن تحصى، وفيها توجيهات للصالحين، وفوائد كبيرة لعباد الله المؤمنين، على سبيل المثال لا الحصر:-

١. لا يدعي أحد أنه أعلم الناس، بل يَكِلُ علم ذلك إلى الله.
٢. الحث على طلب العلم، والمثابرة، والمداومة عليه.
٣. السفر، وتجشم المشاق؛ لتحصيل العلم، ولقاء الصالحين، وذلك قوله تعالى: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف- ٦٠].
٤. جواز إطلاق لفظ الفتى على التابع.
٥. أدب الفتى مع سيده، وعدم تدخله في أموره، حيث لم يشر القرآن الكريم إلى أي لفظ لفتى موسى بعد لقائه الخضر.

---

١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨: ٣٣٩

Upload by : altawhedmag.com

٦. جواز التصريح بنسبة الخطأ والنسيان إلى الشيطان: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف- ٦٣].

٧. حسن معاملة النبي الكليم لفتاه، حيث لم يوجه إليه أي لوم عندما فارقا الصخرة.

٨. الاستئذان في صحبة الصالحين: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

٩. حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

١٠. جواز اختبار صدق المتعلم، وتنبيهه عند المواقف التي قد لا يتحملها، وتكليفه بما يراه مناسبا: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

١١. إبداء العذر من العالم للمتعلم: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

١٢. صدق العزم من المتعلم على تلقي العلم، وحصول الفهم، وذلك في قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا﴾.

١٣. حسن أدب المتعلم مع معلمه، وتلقي شدته بالبشر: ﴿وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

١٤. تعلق الرجاء في الله، وطلب العون منه في حصول العلم ﴿إِنْ شَاءَ اللهُ﴾.

١٥. عهد المتعلم على نفسه بعدم مخالفة أمر معلمه:: ﴿وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾

١٦. قبول الاعتذار بالنسيان؛ إذ الناسي لا تتوجه عليه حقوق الله، والحرج مرفوع عنه شرعا: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾.

١٧. جواز تغليظ المتعلم فيما يراه العالم نفعا وإرشادا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾.

١٨. قيام العذر في المخالفة للمرة الأولى، والحجة في المرة الثانية.

١٩. جواز الإخبار بالتعب، والمرض، ونحوه: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

٢٠. جواز طلب القوت، والضيافة: ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾.

٢١. جواز قبول الهدية، ويدل على ذلك ركوب السفينة بغير أجر.

٢٢. جواز المعاملة بالمثل فإذا بخل القوم بالضيافة جاز طلب الأجر.

٢٣. جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾.

٢٤. جواز إفساد بعض المال لإصلاح معظمه: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.

٢٥. الإغضاء عن بعض المنكرات مخافة أن يتولد من دفعها ما هو أشد.

Upload by : altawhedmag.com

٢٦. من يتوجه إلى ربه يعينه؛ فحينما ذهب موسى لميقات ربه، لم يشعر بتعب، ولا نصب، ولما توجه إلى مدين أصابه الجوع والتعب: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. وحين سار إلى لقاء الخضر، قال لفتاه: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

٢٧. حسن الأدب مع الله، وألا يضاف إليه ما يستهجن لفظه وإن كان الكل بتقدير الله وخلقه؛ لذلك تنوعت ألفاظ الخضر:

- ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، حيث ألحق إرادة عيب السفينة إلى نفسه.
- ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، قَسَّمَ الإرادة هنا بين الحق سبحانه وبين نفسه، فجعل إرادة الله متعلقة بخلق مولود جديد، وإرادته هو في قتل الغلام.
- ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، لم يجعل له دخل في هذا الأمر، والإرادة هنا لله وحده.

٢٨. عدم التغاضي عن أحكام الشريعة مهما كانت الظروف؛ فموسى وهو متوجه بأمر الله للقاء الخضر، لم يعطل أحكام الشريعة، ولا أمره الخضر بذلك، كما لم يوجه له القرآن الكريم أي لوم على تمسكه بما أنزل الله عليه في التوراة، ولو كان في حضور الخضر.

٢٩. دقة وصف موسى عليه السلام لما يراه عملا بالحكمة القائلة لكل مقام مقال:

* وصف خرق السفينة وهو خطر محتمل بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾.
* قتل الغلام خطرا واقعا، ومنكرا عظيما فناسبه: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.
* أما بناء الجدار فكان اقتراحا لموسى فناسبه ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

٣٠. زيادة في تعليم موسى عليه السلام، فموسى وإن كان أعلم بني إسرائيل، إلا أنه ليس بأعلم أهل الأرض، فهذا الوصف لا ينبغي إلا لمحمد ﷺ، فهو أعلم أهل زمانه، بل وجميع الأزمنة، فكان لقاء موسى والخضر عليهما السلام؛ لبيان أن الله جعل في زمانه من يتلقى عنه وحيا لا تتفق أحكامه مع شريعة موسى الكليم.

٣١. المزية لا تقتضي الأفضلية: فليس معنى معرفة الخضر بعلم لا يعرفه موسى عليهما السلام، أن للخضر مزية على موسى عليهما السلام.

٣٢. ما جرى على يد الخضر عليه السلام أجاب موسى عليه السلام عن وقائع في حياته، لم يكن يعلم حكمتها، وفي نفس الوقت أضاف قاعدة هامة عند تطبيق نصوص

Upload by : altawhedmag.com

الوحي المنزل على موسى، ألا وهي اختيار الأقل ضررا؛ اتقاءً لضرر أكبر، فهذه القاعدة دارت عليها الأحداث التي قام بها الخضر.

ثانيا: المدهش من كلام ابن الجوزي.

وننقل عن أبي الفرج بن الجوزي من كتابه المدهش حقا تعليقه المدهش على قصة موسى والخضر عليهما السلام، حيث يقول: "لما علا شَرَف الكليم بالتكلم كل شَرَفٍ، قال له قومه: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، ولم يقل فيما أعلم، فابتلي فيما أخبر به وأعلم، فقام بين يدي الخضر، كما يقوم بين يدي السليم الأعلم، فابتدأ بسؤال: هل ﴿أَتَّبِعُكَ﴾، فتلقاه برد: ﴿لَنْ﴾، وكم أَنَّ موسى؟ من "لن" أمر قومه بالإيمان، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ﴾، وقعوا في التيه، فقالوا: ﴿لَنْ نَصْبِرَ﴾، نُدبوا إلى الجهاد، فصاحوا ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا﴾، طرق باب ﴿أَرِنِي﴾، فرده حاجب: ﴿لَنْ﴾، دنا إلى الخضر للتعلم، فلفظه بلفظ: ﴿لَنْ﴾، ثم زاده من زاد الرد بكف: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾، فلما سامحه على نوبة السفينة، وواجهه بالعتاب في كرّة الغلام، أراق ماء الصحبة في جدال الجدار: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، ثم فسر له سر المشكل، فجعل يشرح القصص فصلا فصلا[١]، بمقول قائل يقول فصلا[٢]، وكلما ذكره أصلا[٣] أصلى[٤]، لم يبق لموسى عين تراه أصلا، وكلما سل[٥] من حر العتاب نصلا، صاح لسان حال موسى: كم نَصْلَى؟ فألقى تفسير الأمور على الكليم وأملى، والقدر يقول: أهو أعلم أم لا؟ فعلم موسى ويوشع: أي عبد أَمَّا[٦]، منذ ابتدا بالشرح بـ ﴿أَمَّا﴾، ثم أخذ لسان العتاب يذكر منسي موسى، أتنكر خرق سفينة؟ لظاهر إفساد تضمن ضمنه صلاح ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، أو تنكر إتلاف شخص دني لإبقاء دِينِ شخصين؟ أو كرهت إقامة الجدار لِشُحِّ أهل القرية بالقِرَى[٧]، أفأردت من الأصفياء معاملة البخلاء بالبخل،

---

١ فصلا: أي جزءا

٢ فصلا: أي واضحا قاطعا، لا لبس فيه، ولا غموض.

٣ أصلا: أي موضوعا أصلى

٤ أي أحرق، والمراد أجاب إجابة شافية، كأنه قضى على السؤال بحرقه، حتى كأن موسى لم يعد يرى سؤاله من أساسه

٥ سل هنا تشبيه للعتاب كأنه إخراج لسيف اللوم أو نصله من غمده

٦ أما: من يمم أي قصد وتوجه إلى: والمراد بسافرهما إليه عند مجمع البحرين، والمقصود هنا هو معرفة قدر الخضر وعلمه

٧ القِرَى: أي حق الضيافة وإكرام الضيف.

Upload by : altawhedmag.com

أما تلمحت سر: صِلْ من قطعك. لقد أنكرت ما جرى لك مثله، حذرت يوم السفينة من الغرق، فصحت بإنكار: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ [الكهف-٧١]، أنسيت يوم: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص- ٧]، أنكرت قتل نفس بغير نفس، أنسيت يوم ﴿فَوَكَزَهُ﴾ [١]. نهيت عن عمل بلا أجر، أنسيت يوم، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص- ٢٤]، فلما بان البيان، خرج الخضر من باب دار الدعوى، وأخرج يده من ملك التصرف[٢]، وأحال الحال على الغير: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. وهذه القصة قد حرضت على جمع رحل الرحيل في طلب العلم، وعلمت كيفية الأدب، وفي كف[٣] الاعتراض على العالم، وصاح فصيح نصيحها بذي اللب، دع دعواك فعلى دعوى الكليم ليم[٤]، وفوق كل ذي علم عليم".

ثالثا: تعقيب مهم.

لو كان هدف القرآن من رواية قصة موسى والخضر عليهما السلام اقتداء الصحابة بها، واتباع ما جاء فيها، لتوقفت أسئلة الصحابة لرسول الله ﷺ عن أي شيء، قياسا على قول الخضر: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف-٧٠]، فرسول الله ﷺ أولى بهذا من الخضر، وقياسا على قول موسى عليه السلام: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي﴾ خاصة وأن سورة الكهف، وطه، ومريم من أول ما نزل بمكة، وهي السور التي يصفها رسول الله ﷺ في الحديث الشريف: «هن من العتاق الأول، وهن من تِلَادي» [٥]. وتلادي: أي من أقدم ما نزل من القرآن الكريم. فذكر القرآن الكريم لهذه القصة لم يكن للاقتداء بها، وهذا الفهم كان واضحا عند الصحابة رضي الله عنهم؛ لذلك ورد في القرآن الكريم العديد من أسئلتهم للنبي ﷺ ليس فقط عن الحلال والحرام، وإنما عن كل شيء خطر على بالهم مثل: الأهلة، والشهر الحرام، والخمر، والميسر، والمحيض، والساعة، والأنفال، والجبال، وعن ذي القرنين، حتى عندما سألوه عن الروح جاء رد الوحي جميلا: ﴿قُلِ الرُّوحُ

---

١ فوكزه وردت في أصل الكتاب: "لو كره"، وأظن أنها تصحيف من النساخ، والله أعلم.

٢ المراد أن الخضر ينفي عن نفسه دعاوى التصريف التي يؤمن بها الصوفية، ولا ينسب ما فعله لقدرته، ولكنه مأمور من الله بالوحي، ومثل هذا لا يصدر إلا عن نبي.

٣ كف هنا بمعنى التوقف عن الفعل أو القول.

٤ ليم هنا من اللوم والعتاب.

٥ أخرجه البخاري في تفسير القرآن ٤٣٣٩، ٤٣٧٠، وفي فضائل القرآن

Upload by : altawhedmag.com

مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء- ٨٥]، ولا لوم ولا عتاب، وكتب السنة الصحيحة لا تخلوا من عشرات بل مئات من أسئلة الصحابة رضوان الله عليهم، وإجابات النبي ﷺ إننا حين نتأمل هذه الحكم، والدروس الكثيرة التي تعلمناها من قصة موسى والخضر عليهما السلام نشعر أن أصحاب الفهم المنحرف قد حصروا أنفسهم في دائرة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وهي دائرة ضيقة من الفهم لا لشيء إلا لخدمة أهوائهم.

ومن العجيب أن الناس انحرفوا عن هذه الحقائق الواضحة، وما تدبروا في شرح الخضر لموسى عليهما السلام عن مثل علم البشر وعلم الله، وشغلوا أنفسهم في تقسيم قطرة الماء التي نقرها العصفور من البحر إلى قسمين: علم الشريعة، وأطلقوا عليها العلم الظاهر، وهي نصيب موسى، بينما نال الخضر علم الحقيقة المسمى بالعلم الباطن، ثم راحوا يتساءلون أي العِلْمَين أفضل؟، وأيهما أرقى؟، فأقحموا عقولهم في متاهة الاختلاف، وتركوا المراد من القصة كلها، ثم راحوا يضيفون من خيالهم مبالغات خطيرة، وصلت إلى حد مطابقة علم الحقيقة بعلم الله ﷻ، والزعم أن علوم الأولياء، وما أطلقوا عليهم الأقطاب، والأئمة، والأبدال، وأهل الخصوص تحيط بالأبحر السبعة كلها، حتى أحاطت من العرش إلى الفرش، وسيكون لنا بإذن الله تعالى وقفة مع هذه المسميات في الجزء الرابع من هذا الكتاب الذي يتناول الصوفية. ترك الباطنيون كل هذه العبر وساروا وراء أنصار الفكر الباطني عند فلاسفة اليهود والنصارى - كما سنبين في الكتاب الثاني من هذه السلسلة عن تاريخ الباطنية - وبالتالي ذهبوا إلى القول بالعلم الظاهر، والعلم الباطن، وأن علم الخضر هو ثمرة باطنية، وأنوار تقذف وهبًا من الله في قلب العبد، تطلعه على حقائق الأمور وبواطنها، بينما علم موسى عليه السلام مسطور في التوراة، ومداره على الأحكام الظاهرية في مقام الشريعة.

ولا يخفى أن هذا الفهم القاصر يتضمن أيضا الإساءة إلى مقام الكليم، لذلك ينبغي أن نُذَكِّرهم بمقام موسى عليه السلام، فنقول، وبالله تعالى التوفيق:-

١. موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وهو النبي المصطفى على الناس بكلام الله ورسالاته، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف-١٤٤].

٢. أنزل الله عليه التوراة، وكتب ألواحها بيديه.

Upload by : altawhedmag.com

٣. وهو أول من يفيق مع نبينا محمد ﷺ يوم القيامة، ويتعلق بالعرش، كما ورد في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله» (١).

٤. وهو الذي خر صعقا من أثر تجلي ربنا سبحانه وتعالى على الجبل، وهو القائل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف-١٤٣].

٥. يرى أنصار تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن في خرق الخضر للسفينة علما باطنيا، أرقى من العلم الظاهر الذي أوتيه موسى عليهما السلام، نقول لهم: إن الخضر عليه السلام أنقذ سفينة واحدة لمساكين يعملون في البحر، وترك باقي السفن تحت سطوة الملك الظالم، وهذا علم باطني، فما ترون في خرق موسى عليه السلام للبحر الأحمر بعصاه؟، وفي طرفة عين جعل الله له البحر فرقتين، كل فرق كالطود العظيم، بينهما طريق يحتاج إلى سنوات ليجف، ويصبح صالحا يابسا، تمر فوقه بنو إسرائيل بدوابهم، وأمتعتهم حتى آخر نفس فيهم، ثم ينطبق البحر على الظالمين، فيهلكهم جميعا، وعلى رأسهم فرعون الملك الظالم: بالله عليكم، ماذا نسمي هذه المعجزة؟ أهي: علم ظاهر أم باطن بميزانكم؟، فهذا موسى عليه السلام يسلك بقومه طريقا لا يؤدي إلا إلى ساحل البحر الأحمر، وقد أدرك بني إسرائيل الفزعُ من مطاردة فرعون لهم، وسعيه وراءهم حتى اقتربوا من ساحل البحر، قالوا: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء-٦١]، فأجابهم الكليم عليه السلام مطمئنا لهم: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء-٦٢].

---

١ متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الخصومات حديث رقم ٢٢٣٤، وأحاديث الأنبياء ٣١٥٦، ٣١٦٢، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل ٢٣٧٣، ٢٣٧٦، وأبو داود في السنة ٤٦٧١، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ٣٢٤٥، وأحمد في مسنده.

Upload by : altawhedmag.com

٦. لم يتلقَ موسى عن ربه معجزة العصا وحدها، وإنما أوتي تسع آيات بينات، لكل منها أثره في خدمة الدعوة، ومواجهة الكافرين، والمعاندين، ولا وجه للمقارنة بين هذه المعجزات، وبين خرق السفينة، أو قتل الغلام، أو إقامة الجدار.

إن من يستدل من قصة موسى والخضر على علمي الظاهر والباطن عليه أن يتتبع المعجزات، والآيات التي لا تعد، ولا تحصى، والتي أجراها الله ﷻ على يدي موسى عليه السلام، وأن يراجع نفسه، أمن العقل أن نسمي مواقف الخضر الثلاثة علما باطنيا، وآيات موسى التسع علما ظاهريا؟ ما لكم كيف تحكمون؟!

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الثالث

- لقاء الخضر مع نبي الله تعالى، وكليمه موسى عليهما السلام يتضمن عشرات الحكم والعبر، وليس فيها أي دليل على تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وكل دعاوى الباطنية المقامة على هذه القصة ساقطة. إن علم موسى والخضر عليهما السلام إلى جنب علم الله تبارك وتعالى، كقطرة ماء في بحر، لا نهاية له. والمطلوب منا أن نتفكر في عظمة البحر واتساعه، ولا نشغل أنفسنا بتقسيم قطرة الماء إلى ظاهر وباطن.

- إن أدب موسى مع الخضر عليهما السلام، لا يعني رفعة مقام الخضر على موسى، فالمزية لا تقتضي الأفضلية، فكلاهما نبي لله ومبلغ عنه، والله تعالى يصطفي من الملائكة رسلا، ومن الناس.

- إن من يتفكر في حياة موسى عليه السلام، يرى آيات عظيمة، وأمورا عجيبة، أعجب مما أجراه الله على يدي الخضر عليه السلام: من أول إلقائه في اليم، ثم تربيته في بيت عدوه، ثم جمعه على أمه، وحضانتها له في بيت الطاغية، ثم قتله المصري، وإقامته عند شعيب، ولقائه به، وتزويجه من ابنته، ثم انبعاث الرغبة في قلبه؛ ليعود إلى مصر، ثم تلقيه النبوة، وخطاب الله له، ثم إرساله إلى فرعون في تسع آيات بينات، ثم العصا، ووقائعها المثيرة، ثم وقوع الآيات، ثم خروجه وقومه من مصر، ثم شق البحر الأحمر، وتحول قاعه إلى طريق يابس يسير عليه الضعفاء، ثم تطبق مياهه على الظلمة والجبارين، ثم تلقيه الألواح، ولقائه ربه في ميقات أربعين يوما، إلى آخر يوم من حياته، هل يمكن أن نسمى ذلك علم ظاهر، وشريعة؟، ثم نسمي ثلاث وقائع للخضر أنها البواطن، والعلم اللدني التي تسمو على الشريعة، تلك إذن قسمة ضيزى.

- إنه من جملة الفوائد التي استفدناها من هذا اللقاء، نطمئن إلى أن أفعال الخضر أمام موسى عليه السلام أَجَابَتْهُ على أمور ثلاثة وقَعَتْ في حياته.

Upload by : altawhedmag.com

- لم يقص علينا القرآن الكريم لقاء موسى والخضر عليهما السلام للاقتداء، والاتباع.

Upload by : altawhedmag.com

الباب الرابع

العلم اللدني

١. فكرة العلم اللدني.

٢. القرآن يرد دعوى الباطنية.

٣. مناقشة هادئة للفكر الباطني.

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الأول
فكرة العلم اللدني

تحدثنا في الباب السابق عن قصة موسى والخضر عليهما السلام، ولم نهدف إلى مناقشة فكرة نظرية مجردة، وإنما أردنا أن نناقش الأساس الذي بنت عليه الفرق الباطنية معتقداتها، فإذا أظهرنا أن لقصة موسى والخضر أبعادا أخرى، ولا تتضمن الأسس التي قامت عليها أفكار هؤلاء، أصبحت معتقداتهم كقصور بناها صبية على الرمال. وقلنا أيضا أن الباطنية يرون في إقامة الجدار، وقتل الغلام، وخرق السفينة علما لدنيا، أسمى من الشريعة وإلا ما تكبد موسى مشقة السفر؛ لينال علما هو يملك مثله، أو أفضل منه، وفات هؤلاء عقد المقارنة بين خرق السفينة؛ حتى تنجو من بطش الملك الظالم الذي يؤمم سفن الفقراء غصبا، وبين الآيات التسع التي مَنَّ الله تبارك وتعالى بها على موسى، ومنها خرق البحر الأحمر، ليس لتنجو بذلك سفينة، وإنما لتنجو به أمة بني إسرائيل، ليس فقط أشداؤهم، بل شيوخهم، ورضعهم، وأطفالهم، ودوابهم، ومتاعهم. ليس هذا فقط، بل ويهلك في نفس موضع النجاة، ويغرق الملك الظالم، وخيله، وخيلائه، وصلفه، وغروره. ونستكمل بتوفيق الله تبارك وتعالى تدارس هذا الأمر، فيما يلي:-

أولا: أهناك "علم عندي"، "وعلم لدني"؟

تعريف العلم اللدني:

تقوم عقيدة الصوفية، ومن ورائهم الفرق الباطنية على إثبات العلم اللدني - والذي أطلقوا عليه بعد ذلك العلم الباطني - وأنه يختلف عن العلم الظاهر الذي هو الشريعة، وسنطلق عليه هنا تعبير "العلم العندي"، فقط لنناقش من خلاله فكرة العلم اللدني، ونبدأ أولا بعرض أقوال الصوفية المؤيدين للفكرة، وتعريفاتهم له:

١. يُعَرِّف الصوفية العلم اللدني، بقولهم: "هو العلم الذي يتعلمه العبد من الله تعالى من غير واسطة ملك أو نبي، بالمشافهة، والمشاهدة، كما كان للخضر عليه السلام، وقيل: هو معرفة ذات الله تعالى، وصفاته، علما يقينيا، من مشاهدة، وذوق ببصائر القلوب"[١].

١ معجم مصطلحات الصوفية د. عبد المنعم الحفني ١٨٨

Upload by : altawhedmag.com

٢. يقول الصوفية أيضا: "العلم اللدني: هو فوق العلم الباطن؛ لأن الأخير مختص بالأحداث الجزئية، أما العلم اللدني، فهو الموصول بعين الذات، فهو ماء متفجر من النبع مباشرة، وقد تميز هذا اللون من العلم بتعبير المنامات بما يناسب الحدث، ويبين في الوقت نفسه عن أحداث المستقبل؛ نظرا لاتصال هذا العلم بديمومة العلم الإلهي الطاوية للزمن، ولأحداثه، والمنبئة بها"[١].

٣. يقول القشيري في اللطائف: "قيل العلم من لدن الله ما يتحصل بطريق الإلهام دون التكلف بالطلب، ويقال: ما يُعَرِّفُ به الحق سبحانه الخواص من عباده، ويقال: ما يُعَرِّفُ به الحق أولياءه، فيما فيه صلاح عباده، وقيل: هو ما لا يعود منه نفع إلى صاحبه، بل يكون نفعه لعباده مما فيه حق الله سبحانه، ويقال: هو ما لا يجد صاحبه سبيلا إلى جحده، وكان دليلا على صحة ما يجده قطعا، فلو سألته عن برهانه لم يجد عليه دليلا، فأقوى العلوم أبعدها عن الدليل"[٢].

٤. يقول الهروي في منازل السالكين: "العلم اللدني، إسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعمته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب"، ويشرح ابن القيم عبارة الهروي، بقوله: "يشير القوم بالعلم اللدني إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله، وتعريف منه لعبده،.. والعلم اللدني ثمرة العبودية، والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله، وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به،.. وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتقيد بهما، فهو من لدن النفس والهوى والشيطان، فهو لدني، ولكن من لدن من؟ إنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا: بموافقته لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني بطناوي، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ[٣].

---

١ النصوص في مصطلحات الصوفية محمد غازي عرابي ٢٣٦

٢ لطائف الإشارات للقشيري ٢: ٤٠٨

٣ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية

Upload by : altawhedmag.com

٥. يقول الفخر الرازي: قالوا إن "عند" للأمر الظاهر، و"لدن" للأمر الباطن، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، يقتضي أنه تعالى عَلَّمَهُ، لا بواسطة تعليم معلم، ولا إرشاد مرشد.

٦. "العلم اللدني": يسميه بعض الصوفية بعلم الحقائق، ويقول صوفي آخر: "إن علم الحقائق والكشوف ينافي علم الظاهر، فلا ينبغي للعالم الحاكم بالظاهر الذي هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتنافي، ولا ينبغي للعالم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر الذي ليس مكلفا به الذي ينافي ما عنده من الحقيقة".

أنواع العلم اللدني:

يفرق الفيروزابادي في كتابه بصائر ذوي التمييز في "بصيرة في علم"[1] بين "لدن"، و"عند"، فيقول: قال الله ﷻ: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف- ٦٥]، وفَرَّق بين الرحمة والعلم، وجعلهما من عنده، ومن لدنه إذ لم يكن نيلهما على يد بشر، وكأن من لدنه أخصّ، وأقرب مما عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء- ٨٠]، فالسلطان النصير الذي من لدنه أخص من الذي عنده وأقرب، وهو نصره الذي أيده به، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال- ٦٢].

ويستدل الفيروزابادي على وجود العلم اللدني، كما يستدل غيره بقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام، فيقول: "ومن أقسام العلم: "العلم اللدني": وهو ما يحصل للعبد بغير واسطة، بل إلهام من الله تعالى، كما حصل للخضر بغير واسطة موسى... و"العلم اللدني": ثمرة العبودية، والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله، ومن كتابه، وسنة رسوله، وكمال الانقياد له، وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتقيد بهما، فهو من لدن النفس والشيطان، فهو لدني، لكن من لدن من؟ وإنما يعرف كون العلم لدُنيا روحانيا بموافقته لما جاء به رسول الله ﷺ، عن ربه ﷻ، فالعلم اللدني نوعان: لدن رحماني، ولدن شيطاني وبطناوي، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ،

[1] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزابادي ٤: ٩٣.

Upload by : altawhedmag.com

و"العلم اللدني الرحماني": هو ثمرة هذه الموافقة، والمحبة التي أوجبها التقرب بالنوافل بعد الفرائض، و"اللدني الشيطاني": هو ثمرة الإعراض عن الوحي بحكم الهوى"[١].

فالصوفية إذن منقسمون إلى فريقين:

- **الفريق الأول**: لا يرى مخالفة العلم الباطن للشريعة، بل هو ثمرتها، وحصيلة الاقتداء بها، وهم في نفس الوقت يضربون بأفعال الخضر مع موسى المخالفة للشريعة المثل، والدليل على وجود العلم الباطن، وبالتالي لا يضعون حدا فاصلا لطبيعة الاختلاف بين العلم العندي واللدني.
- **الفريق الثاني**: يرى ضرورة مخالفة العلم الباطن للشريعة، بل يدعو أتباعه إلى عدم الاعتراض على من يخالف الشريعة، وهو في مقام الحقائق.

بينما يقول الإمام ابن القيم: "إن العلم الحاصل بالشواهد والأدلة، هو العلم الحقيقي، وأما ما يدعي حصوله بغير شاهد، ولا دليل، فلا وثوق به [وليس بعلم]. نعم قد يقوى العلم الحاصل بالشواهد، ويتزايد بحيث يصير المعلوم كالمشهود، والغائب كالمعاين، وعلم اليقين كعين اليقين، فيكون الأمر شعورا أولا، ثم تجويزا، ثم ظنا، ثم علما، ثم معرفة، ثم علم يقين، ثم حق يقين، ثم عين يقين، ثم تضمحل كل مرتبة في التي فوقها، بحيث يصير الحكم لها دونها، فهذا حق. وأما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال، فليس بصحيح، فإن الله سبحانه ربط التعريفات بأسبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدله عليه".

لذا ينبغي أن نتعرف على دلالات لفظتي: "عند، ولدن"، في اللغة والاختلاف بينهما، ثم نتدارس الاستخدام القرآني لهما، وهل يخص القرآن إحدى هاتين اللفظتين بشيء دون الأخرى، أم أن القرآن لا يفرق بينهما، ومن ثم نُفند مزاعم الباطنية عن العلم اللدني.

ثانيا: "عند" في اللغة والقرآن الكريم.

"عند" في اللغة جاء في الجزء الثاني من المعجم الوسيط أن: "عند": ظَرْف مكان للشيء الحاضر، والقريب، أو للغائب، يستخدم للزمان إذا أضيف إلى زمان، وللمكان إذا أضيف للمكان. وفي لسان العرب: "عند": لحضور الشيء، ودُنُوِّه. وفيها ثلاث لغات [عَنْد، عِنْد،

[١] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزابادي ٤: ٨٨ - ٩٥

Upload by : altawhedmag.com

عُنْد]، وهي ظرف في المكان والزمان، فتقول "عند الحائط"، "وعند الليل"، وقال الأزهري: وهي في أقصى درجات القرب، ولذلك لم تُصَغَّرْ. وفي كتب النحو، يقول ابن هشام: "عند": اسم لحضور الحس، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل- ٤٠]، وهي أيضا اسم للحضور المعنوي: قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل- ٤٠]، وهي أيضا اسم للقرب: وقوله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم-١٤].

ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص-٤٧]

"عند" في القرآن:

إذا تتبعنا استخدام القرآن للفظة: "عندنا"، و"عنده". نجدهما يعبران عما يلي:-

- **الحق والرحمة من عند الله:**

* يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [القصص- ٤٨].

* وقال عز من قائل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء-٨٤].

- **الأمر من عند الله:**

* يقول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان٥-٤].

* وقال تعالى: ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة- ٥٢].

- **النصر من عند الله:**

* يقول جل شأنه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال- ١٠].

* وقوله : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران- ١٢٦].

- **الزلفى والمكانة عند الله:**

* قال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص-٢٥].

* ويقول جل شأنه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص-٤٧].

* ويقول سبحانه: ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران- ١٩٥]

- **النعمة وخزائن كل شيء عند الله:**

* قال تعالى: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر-٣٥].

Upload by : altawhedmag.com

* ويقول جل شأنه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر-٢١].

مفاتح الغيب عند الله:

* يقول عز من قائل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام- ٥٩].

ثالثا: "لدن" في اللغة والقرآن.

● **"لدن" في اللغة**

من معاني "لدن" في اللغة، ما جاء في المعجم الوسيط، أن: "لدن": ظرف زماني، ومكاني، غير متمكن بمنزلة "عند" إلا أنه أقرب مكانا من "عند"، وأخص منه، فإن "عند" تقع على المكان وغيره، ولا تستعمل إلا في الحاضر بخلاف "عند"، فتقول "لديَّ مال" إذا كان حاضرا. في لسان العرب: "لدن": بكل لغاتها ظرف زمان، ومكان معناه عند. قال الليث: "لدن" في معنى "من عند"، إلا أنه أقرب مكانا من "عند"، وأخص منه، فإن "عند" تقع على المكان وغيره، وتقول لي "عند فلان مال" أي في ذمته، ولا يمكن ذلك في "لدن".

● **"لدن" في القرآن الكريم.**

وردت "لدن" في القرآن الكريم سبع عشرة مرة وتناولت الموضوعات الآتية:- القرآن، والذكر، والآيات من لدن الله.

إذا استعرنا أسلوب الباطنية في الاستدلال على العلم اللدني بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، فيمكننا القول أن القرآن الكريم يحدد طبيعة العلم اللدني أيضا بأنه: الوحي، والنبوة، والقرآن.

* وذلك قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل-٦].

* وقوله عز من قائل: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه- ٩٩].

* وقوله جل شأنه في سورة هود: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود- ١].

فإذا دلت آية العلم اللدني في قصة موسى والخضر عليهما السلام، فهناك ثلاث آيات تقرر أن الشريعة - التي هي: الوحي، والنبوة، والقرآن - هي في حقيقتها علما لدنيا، فكيف يتعارض العلم الباطن مع العلم الظاهر، وكلاهما علما لدنيا؟.

Upload by : altawhedmag.com

الرحمة والحنان من لدن الله:

* الله يهب الرحمة من لدنه، تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران-٨].

* وفي قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف-١٠].

* والله سبحانه يتفضل بالحنان على أوليائه، كما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم-١٣].

الأجر العظيم من لدن الله:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء-٤٠]، فالناس لا يُظلمون بين يدي ربهم، بل تُضاعف حسناتهم أضعافا كثيرة، ثم يُؤْتَوْن من لدنه أجرا عظيما، وثوابا جزيلا.

الرزق من لدن الله:

* قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص- ٥٧].

الولاية والنصر من لدن الله:

* قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء- ٧٥].

فالولاية والنصر عطاء من لدن الحق سبحانه وتعالى.

العذاب والبأس من لدن الله:

* قال تعالى: ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾[الكهف- ٢].

الذرية الصالحة من لدن الله:

* قال سبحانه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران-٣٨]، وكذا دعا نبي الله زكريا عليه السلام ربه ﷻ، قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم- ٥]، والمراد بالولي هنا الولد الصالح والله أعلم.

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: مقارنة "لدن" و"عند" في اللغة والقرآن الكريم.

● **في اللغة:**

وجاء في النحو الوافي لعباس حسن ما يلي: "لدن" و"عند": ظرفان مبهمان ملازمان للإضافة، وفائدتهما الدلالة على مبدإ الغاية الزمانية، أو المكانية، ويوضح الغاية بقوله: "إن الغاية سواء كانت مكانية، أو زمانية، لا بد من توافر نقطة البدء لها، ونقطة النهاية، وبينهما مسافة محصورة. وتدخل "لدن" على كلمةٍ هو ابتداء الغاية، فدخولها على هذه الكلمة يرشد أنها أول جزء من أجزاء الغاية، أو أنها نقطة البداية، فتقول: "سافرت من لدن البيت إلى الضاحية"، فالبيت هو ابتداء الغاية، ثم قال: ولو استخدمت "عند" مكان "لدن" لم يتغير الأمر.

● **في القرآن:**

حاولنا في بحثنا هذا الوصول إلى فرق واضح بين "عند" و"لدن"، في اللغة والاستخدام القرآني، فلم نجد، وقد وجدنا أن كثيرا من العلماء لا يرون فارقا بينهما على الإطلاق، وفي نفس الوقت يُفرق الصوفية بينهما، ويرون أن القرآن استخدم للرحمة تعبير من "عندنا"، واستخدم للعلم "لدنا"، وبالتالي هناك "علم لدني" هو زبدة الشريعة، وما يسمو فوقها، أو هو بمنزلة اللب من القشر، ونحن نختلف معهم في هذا التقسيم، وسنحاول إثبات عكس كلامهم من استخدام القرآن للكلمتين: "عند" و"لدن"، فنقول وبالله تعالى التوفيق: القرآن لا يفرق بين "عند" و"لدن" في الحديث على الرحمة، والحنان، وكشف الضر، قال تعالى:

* ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء-٨٤].

* وقال سبحانه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران-٣٨].

* وكذا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص- ٥٧].

* قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر-٢١].

القرآن لا يفرق بين "عند" و"لدن" في الحديث عن النصر والولاية:

* قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء- ٧٥].

Upload by : altawhedmag.com

وفي المقابل يستخدم القرآن الكريم لفظ "عند" للنصر، فهو من عند الله، ومن لدن الله، لا فرق بين عند، ولدن في التعبير عن النصر، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [آل عمران- ١٢٦].

القرآن لا يفرق بين "عند" و"لدن" في الحديث عن أجره سبحانه للصالحين، والزلفى، والمكانة عنده:

* قال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص-٢٥].

* ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء-٤٠].

كما لا يفرق القرآن بين "عند"، و"لدن" في حديثه عن النبوة.

* قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص-٤٧].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص-٤٩]

* قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [القصص- ٤٨]

* وكذا دعاء زكريا عليه السلام في سورة مريم: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم ٥ -٦]، ومراد دعاء زكريا عليه السلام هو ميراث آل يعقوب، وهو النبوة.

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثاني
القرآن يرد دعاوى الباطنية

١. يرد القرآن في آياته المحكمات افتراءات الباطنية وتقسيماتهم البدعية حيث:

- يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام- ٥٩]، ولو كانت مزاعم الباطنية عن العلم اللدني حقيقة لاستخدم القرآن في هذه الآية "ولدنا" مفاتح الغيب، بدلا من وعنده مفاتح الغيب.
- يستوي استخدام القرآن الكريم للفظة لدن وعند في مواضع متعددة، فالرحمة وكشف الضر يأتيان من عند الله، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء- ٨٤]. وأيضا تتنزل رحمة من لدنه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف- ١٠]. وخزائن النعم من عند الله كما في سورة الحجر ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر- ٢١]. والرزق من لدن الحق سبحانه كما في سورة القصص: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص- ٥٧]. من أراد أن يطبق مفهوم الظاهر والباطن، وأن عند تستخدم للإشارة للأمور الظاهرة أو العامة، ولدن تستخدم مع الأمور الباطنة أو الخاصة، نقول له إن خزائن النعم أعم وأشمل من الرزق الذي يساق للخلق، وأن الظاهر للعيان هو الرزق، والباطن في ملكوت الله تعالى هي خزائن النعم.

٢. لو استخدمنا أسلوب الباطنية، ومنطقهم حول العلم اللدني، فإنا نقول لهم إن العلم اللدني الحقيقي هو القرآن الكريم، ومن ينكر قولنا هذا، فليقرأ معنا هذه الآيات المباركات:

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل- ٦].

* قال عز من قائل: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه- ٩٩].

Upload by : altawhedmag.com

* قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود-١]، وهذه الآيات تقطع دابر القوم الذين يقولون في الدين بآرائهم، ويُقسمون الهدى حسب أهوائهم، فالقرآن يتلقاه رسول الله ﷺ من لدن الحكيم العليم، والذكر وهو المرادف للقرآن أيضا، آتاه الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه- ٩٩]، كما أحكم الحق سبحانه آيات كتابه العزيز، ثم فصلها من لدنه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود-١]

مصادر الشريعة علوم لدنية:

"القرآن والوحي والنبوة" هي علوم لدنية بنص القرآن -حسب الفهم الصوفي-، وعلم الخضر عليه السلام علما لدنيا، فكيف يتعارضان، ثم هناك عدد من الأسئلة الهامة التي تفرض نفسها، وهي: لم لا نجد العلم اللدني إلا في المسلك الصوفي، وما التشابه بين الخضر والمسلك الصوفي حتى ينال علم الخضر من خلال الصوفية؟. لم لا يجد الباطنيون العلم الباطن في القرآن، وتدبره، وتلاوته، والقيام بأوامره، واجتناب نواهيه، والاطِّلاع على كتب تفسيره، والتماس حكمه، وقصصه، ومواعظه، وكنوزه، وعطائه، والنهل من ورده الذي لا ينضب إلى يوم القيامة، لم لا يطالع الباطنيون هدي رسول الله ﷺ من خلال مصادر الحديث، والصحاح، والسنن، والمصنفات، والشروح المبسطة، أو التفصيلية، أو حتى مختصرات الصحاح، أليس في الكتاب والسنة علما لدنيا؟، أم أن مخالفة الكتاب والسنة في حد ذاتها غاية القوم، والأمر المستحب عندهم؟

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الثالث

مناقشة هادئة

يمكننا مناقشة الباطني من الناحية العقلية وبالحجة المنطقية، من خلال هذه الأسئلة: نقول له: هل المعنى الظاهر للآيات القرآنية مراد من الله ﷻ، أم ليس بمراد، وبالتالي يحتاج لتأويل باطني؟ يقول الباطني: المعنى الظاهر مراد. نقول له: ما الذي يدعو إلى صرف المعنى عن ظاهره، وادعاء أن له تأويلا باطنيا؟ يقول الباطني: خشية على عقيدة العوام. نقول له: إن الدين جاء للعامة أم للخاصة؟ إن قال الباطني بأحدهما فقد افترى على الله الكذب، وإن قال: جاء للعامة والخاصة. نقول للباطني: لو كان في ظاهر المعنى خشية على عقائد العوام، لكان النبي ﷺ أسرع إلى تلافي ذلك، والتنبيه عليه، فإذا سكت النبي ﷺ وجب عليكم السكوت. يقول الباطني: المعنى الظاهر كالقشرة، والمعنى الباطن كاللب، لا يناله إلا أهله. نقول له: هل يتوافق المعنى الظاهر مع الباطن أم يناقض المعنى الباطن النص الظاهر؟ ليس أمام الباطني إلا أحد أمرين: أن يقول: المعنيان متوافقان ومتفقان، وبالتالي تنتفي قضية الظاهر والباطن، أو أن يقول: يختلفان. نقول له: أنت تقول أن ظاهر كلام الله، يخالف مراده الذي جعله للخاصة، فأي المعاني هو الحق، الظاهر للعوام، أم الباطن للخواص؟ يقول الباطني: المعنى الباطني هو المراد. نقول له: أقمت الحجة على نفسك، حيث جعلت ظاهر القرآن والسنة وفهم السلف الصالح ناقص، وبالتالي يحتاج إلى تأويل، كما أنك ترد المعنى الظاهر، وتقبل اعتقادك الباطن فيه، ثم نسأل الباطني: هل المعاني الباطنة يجب إخفاؤها أم إظهارها؟ يقول الباطني: يجب إخفاؤها. نقول له: ما وجب على رسول الله ﷺ إخفاؤه، كيف حل لكم إفشاؤه؟. فإن قال: يجب إظهاره. نقول له: فلم كتمه رسول الله عن أصحابه؟، ومن أذن لكم أن تفشوه لأصحابكم؟.

Upload by : altawhedmag.com

ملخص الباب الرابع

- استخدام القرآن الكريم للفظة "لدن"، يعد دليلا قاطعا ضد الباطنية، وإذا جاز لنا أن نناقشهم بمنطقهم، نقول لهم إن العلم اللدني الحقيقي هو القرآن الكريم.

- من الخطإ أن يستدل الباطنية على وجود علم لدني أسمى من علم الشريعة من قول الله تعالى في الآية القرآنية: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف- ٦٥]، فالقرآن الكريم لا يفرق في الاستخدام بين "عند" و"لدن".

- لا يفرق اللغويون بين "عند"، و"لدن" في الاستخدام أظهرت المناقشة الجدلية لفكرة العلم الظاهر والباطن، أنه لا ينبغي وجود تعارض بين الظاهر والباطن.

- بيان خطإ القائلين بأن مخالفة الشريعة علما لدنيا، بل هي علما شيطانيا ظلمانيا.

- لا ينبغي للسالك إلى الله أن يُسلم قياد فكره، وعقله، ويسير وراء من يخالف الشريعة، وأحكامها، سواء بتأخير الصلوات، أو عدم أدائها، أو بالحديث في الغيبيات وادعاء الكشف الذي يهتك أستار العباد، ويطلع على عورات الناس، فما أطلع المشايخ على عورات المسلمين إلا الشيطان وأعوانه.

- توجيه الصوفية والباطنية إلى العودة إلى مصادر العلم اللدني الحقيقي، وهي الكتاب والسنة، بنفس الأسلوب الذي يتبعونه للدفاع عن المخالفات الشرعية على أنها فتوحات، وأسرار من العلم اللدني.

- أن هناك اختلاط ومزج شديد عند الباطنية يتمثل في عدم اتفاقهم حول مفهوم واحد: هل الدين مقسم إلى مراتب ظاهرة وباطنة؟ أم أن العلم مقسم إلى ظاهر

Upload by : altawhedmag.com

وباطن؟ أم أن الفهم يختلف باختلاف مقامات الناس، وبالتالي هناك فهم ظاهر وفهم باطن؟ وهل هناك اختلاف وتضارب بين الظاهر والباطن، يقتضي إخفاء الباطن، وتداوله بين الخاصة من أهله.

Upload by : altawhedmag.com

خاتمة الجزء الأول

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بأكمل الرسالات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يقبض الأحياء، ويبعث الأموات، وأن محمدا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه، جاء بالصدق وصدق به، فأنار الله بهدية الظلمات، وميز بنور رسالته بين الأشقياء والسعداء، جعلنا الله تبارك وتعالى ممن يدخلون الجنة زمرا، ويتبوءون فيها أعلى الغرف والحجرات، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وفي صحبة الأنبياء، والشهداء، والصديقين، وحسن أولئك رفيقا، وبعد:

لقد كان القبول الذي استقبلت به هذه السلسلة من الكتب عونا على المزيد من التنقيحات والإضافات، بل إن الطبعة الحالية قد أضافت لهذه السلسلة كتابان جديدان هما: الكتاب الرابع وهو القول الصريح عن حقيقة الضريح، وهو إضافة مهمة لهذه السلسلة، كما أضيف للسلسلة كتاب خامس: طرحنا فيه تصورا لسلوك المسلم على صراط الله المستقيم، والكتاب يبدأ مع يؤمن بوجود الله تعالى وأنبيائه ورسله وكتبه واليوم الآخر، ولا يغفل الغافل عن ربه، بل يناقشه وييسر له سبل الهداية والرجوع إلى الله تعالى، كما أن أبرز إضافة في هذه السلسلة تلك التي اختص بها كتاب تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية، والتي فرضت علينا أن نغير اسم الكتاب إلى جذور الشيعة، وجيش المهدي.

فإن موضوع الظاهر والباطن في الدين، والسلوك والعلم، موضوع غاية في الأهمية، ورغم أننا لم نتطرق بعد لنتائج هذا التقسيم، إلا أننا ناقشنا خلال هذا الكتاب الأساس الذي بنت عليه الباطنية تقسيماتهم، والقارئ لما سبق، قد وجد أنهم بنوا قصورا، وأوهاما كثيرة على رمال متحركة، أو فوق موج البحر، فما استقر لهم بنيان، ولا ارتفع لهم شان، وسيجد القارئ الكريم في باقي كتب هذه السلسلة ردودا قاطعة، وأدلة دامغة، التي جربتها بتوفيق الله تعالى مع كبار مشايخ الطريقة الخلوتية في مصر، ومن أتاح الله لي مناظرته من مريدي الطرق الأخرى، ولا بد لنا من النظر والتأمل للطريقة التي انحرف بها هؤلاء عن جادة الطريق، فربما يهدينا الله تبارك وتعالى ونكون سبب هدايتهم إلى الحق الذي زاغوا عنه، حبا في المشايخ، واتباعا لأهواء الرجال.

Upload by : altawhedmag.com

ويبقى أن أوجه الشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذه السلسلة على هذا الوجه الذي نسأل الله تعالى أن يكتب لها القبول، ويحقق منها النفع المرجو، ولا يفوتني أن أنوه على أن هذه السلسلة قد حصل على أصولها الدكتور سليمان الميمان منذ أكثر من سنتين على وعد بطباعتها في أسرع وقت ممكن، وبعد أن طال انتظاري لرد منه عما تم فيها، دون أن يحقق اتصالا واحدا، فقد قدمتها للقارئ لأن الأمر لا يحتمل التأجيل.

وفي الختام أسأل المولى الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل جهدنا هذا، وأن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به السالكين والقاصدين، لرضوانه ورحمته، ومغفرته، ونسأله جل شأنه أن يتجاوز عن زلاتنا، وأن يستر عوراتنا، ويؤمن روعاتنا، في الدنيا والآخرة، واعلم يا أخي الكريم، أن ما وجدته في كتابنا هذا من الحق، فهو بتوفيق الله وحده، وله سبحانه الفضل والمنة، وما وجدته من قصور، أو عجز، أو خطأ، فمن نفسي، فسل الله لي بظهر الغيب أن يسامحنا على ما بدر منا، وأن يشملنا بمغفرته ورضوانه، فخيره إلينا نازل، وشرنا إليه صاعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

Upload by : altawhedmag.com

مراجع الكتاب

١. القرآن الكريم .
٢. جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر ابن جرير الطبري - دار المعرفة بيروت.
٣. الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي - كتاب الشعب .
٤. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر للطباعة والنشر.
٥. تفسير غرائب القرآن للنيسابوري .
٦. روح المعاني في تفسير القرآن للألوسي البغدادي - دار الفكر .
٧. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي - المكتب الإسلامي.
٨. التفسير الكبير للفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي.
٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي - المكتبة العلمية .
١٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - دار إحياء التراث العربي.
١١. موسوعة الحديث الكتب التسعة تطوير صخر للبرامج.
١٢. صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي.
١٣. صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي - دار الكتاب العربي.
١٤. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري - المكتبة السلفية المدينة.
١٥. عون المعبود بشرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية.
١٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل - دار إحياء التراث العربي.
١٧. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي - دار الكتب العلمية.
١٨. سنن الدارقطني - دار المحاسن للطباعة القاهرة .
١٩. صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور الأعظمي - المكتب الإسلامي.
٢٠. المسند الجامع ترتيب بشار عواد معروف وآخرون.
٢١. مصنف عبد الرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي.
٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة وصحيح السنن الأربعة للمحدث ناصر الدين الألباني - مكتب التربية، والمكتب الإسلامي، ومكتبة المعارف بالرياض.
٢٣. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار عالم الكتب بالرياض.

Upload by : altawhedmag.com

٢٤. النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتب العلمية.
٢٥. مداج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم - دار الكتب العلمية.
٢٦. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد - دار صادر بيروت.
٢٧. المدهش لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - دار مروان للطباعة والنشر.
٢٨. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - دار الكتاب العربي.
٢٩. سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي - مؤسسة الرسالة.
٣٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني مطبعة السعادة.
٣١. تاريخ بغداد للخطيب للحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي.
٣٢. تهذيب تاريخ دمشق الكبير للحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر.
٣٣. تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
٣٤. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - دار الكتب العلمية.
٣٥. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني - دار الفكر .
٣٦. المغني في الضعفاء للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
٣٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الذهبي - دار المعرفة.
٣٨. الضعفاء والمتروكون للنسائي - دار القلم.
٣٩. الضعفاء والمتروكون للدارقطني - دار القلم .
٤٠. الضعفاء الصغير للإمام البخاري - دار القلم.
٤١. الضعفاء الكبير للعقيلي.
٤٢. الموضوعات الكبرى لأبي الفرج بن الجوزي - المكتبة السلفية المدينة المنورة .
٤٣. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لأبي الفرج بن الجوزي - دار الكتب العلمية
٤٤. المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية - دار المسلم مطبعة التقدم
٤٥. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني - دار الكتب العلمية.
٤٦. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي - دار الكتاب العربي.
٤٧. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري - دار الكتب العلمية.

Upload by : altawhedmag.com

٤٨. اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي - دار الكتب العلمية.
٤٩. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي - دار المعرفة بيروت.
٥٠. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة علي بن محمد بن عراق الكناني - دار الكتب العلمية .
٥١. تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث للعلامة لأبي الفرج الشيباني العبدري - دار الكتب العلمية.
٥٢. قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس للثعالبي.
٥٣. الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري.
٥٤. الفتوحات المكية محمد بن علي المعروف بابن عربي - دار الفكر.
٥٥. النصوص في مصطلحات الصوفية لمحمد غازي عرابي - دار قتيبة.
٥٦. معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني - دار المسيرة بيروت.
٥٧. اصطلاحات الصوفية للقاشاني - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٨. عوارف المعارف للسهروردي - دار الكتاب العربي.
٥٩. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي - دار الكتاب النفيس.
٦٠. كشف المحجوب للهجويري - دار النهضة العربية.
٦١. طبقات الأولياء لابن الملقن - دار المعرفة.
٦٢. الطبقات الكبرى للشعراني - مكتبة محمد علي صبيح.
٦٣. اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر للشعراني - مكتبة مصطفي البابي الحلبي.
٦٤. الإبريز للدباغ - مكتبة محمد علي صبيح.
٦٥. اللمع لأبي نصر السراج الطوسي - دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ببغداد.
٦٦. الحاوي للفتاوي للسيوطي - دار الكتاب العربي.
٦٧. في رحاب أنصار الحق لمحمود ماضي أبي العزايم.
٦٨. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق - دار الحرمين للطباعة.
٦٩. الزهر النضر في نبأ الخضر للحافظ ابن حجر العسقلاني - مكتبة القرآن.
٧٠. الخضر عليه السلام وشأنه في الأنام لحسين محمود السلواوي - مطبعة خاصة.

Upload by : altawhedmag.com

٧١. حياة الخضر لمحمود شلبي - دار الجيل بيروت.
٧٢. ختم الأولياء للحكيم الترمذي - المطبعة الكاثوليكية بيروت.
٧٣. الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية - الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة - مجمع البحوث الإسلامية.
٧٤. فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.
٧٥. إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفي الشكعة - الدار المصرية اللبنانية.
٧٦. دراسات في الفرق للدكتور صابر طعيمة - مكتبة المعارف بالرياض.
٧٧. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى للدكتور يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.
٧٨. الميزان الخضريه للشعراني - طبعة عالم الفكر.
٧٩. ينابيع المودة.
٨٠. الأنوار النعمانية.
٨١. إلزام الناصب لليزيدي الحائري.
٨٢. لسان العرب لابن منظور - كتاب الشعب.
٨٣. المعجم الوسيط.
٨٤. النحو الوافي لعباس حسن - دار المعارف.

Upload by : altawhedmag.com

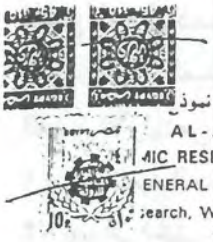

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمـع البحـوث الاســلامية
الادارة العـــامة
للبحـوث والتـاليف والترجمـة

AL-AZHAR
MIC RESEARCH ACADEMY
ENERAL DEPARTMENT
earch, Writting & Translation

السـيد / مجمود عبـوض المراكـــــــى .

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : موســـــى و الخضـر
..... تاليفكم .....

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـاكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والاحاديث النبـوية الشريفـة . وتصحيح الاخطاء الاملائية و النحوية و اللغوية وقواعد التنصيص .
واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مدير عـام
ادارة البحوث والتـاليف والترجمـة
(عبد العزيز عبد الحميد الجزار)

تحريرا فى ٨ / ٨ / ١٤١٦ هـ
الموافق ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٥ م

Upload by : altawhedmag.com

فهرس

كتاب موسى والخضر

مقدمة ٣
الهدف من هذه السلسلة ٨
المنهج المتبع في كتب السلسلة ١٠
الباب الأول: العبد الصالح ١٣
الفصل الأول: من العبد الصالح؟ ١٥
١- اسم العبد الصالح؟ ١٥
٢- بدء أمر الخضر ١٥
٣- نسب العبد الصالح ١٦
الفصل الثاني: حياة الخضر عليه السلام ١٧
أولا: حياة الخضر قبل الطوفان ١٧
١- الخضر بن آدم ١٧
٢- الخضر بن قابيل بن آدم ١٨
٣- الخضر بن نوح ١٨
* هل عاش الخضر قبل الطوفان؟ ١٨
ثانيا: حياة الخضر بعد الطوفان ١٩
* الخضر وذو القرنين ٢١
* أسطورة عين الحياة ٢١
* مناقشة أسطورة عين الحياة ٢٣
* لقاءات الخضر وإلياس عليهما السلام ٢٣
* لقاءات مزعومة بين الخضر وإلياس ٢٤
* أين يقيم الخضر وإلياس عليهما السلام؟ ٢٦
* مناقشة لقاءات الخضر وإلياس ٢٨
ثالثا: حياة الخضر بعد بعثة النبي ﷺ ٢٩
١- الخضر وخاتم النبيين ﷺ ٣٠
* عزاء الخضر في وفاة النبي ﷺ ٣٣
٢- الخضر والصحابة ٣٥

Upload by : altawhedmag.com

* الخضر والفاروق عمر ٣٥
* الخضر وعلي بن أبي طالب ٣٧
٣- الخضر والتابعون ٣٧
*الخضر وعمر بن عبد العزيز ٣٧
*الخضر وعبد الملك بن مروان ٣٨
٤- الخضر والإسرائيليات ٣٩
٥- الخضر والدجال ٤٢
الفصل الثالث: الخضر والفرق الباطنية ٤٤
١- الخضر والشيعة ٤٤
* الأئمة أعلم من موسى والخضر ٤٥
* علي يجدد إيمان الخضر ٤٦
* الشيعة تروج لحياة الخضر ٤٦
٢- الخضر والباطنية ٤٦
٣- الخضر والصوفية ٤٨
* الخضر يعلم ابن عربي التسليم للمشايخ ٥٠
* الخضر يعلم الصوفية من علم داود ٥٠
* الخضر يتودد إلى المريدين ٥٠
* الخضر يراجع مؤلفات الصوفية ٥٠
* الخضر يسمع الملائكة ٥١
* الخضر موكل بالصوفية ٥١
* ملازمة الخرائب تربية باطنية ٥٢
* الخضر يطير في الهواء ٥٢
* الصوفية يترفعون عن صحبة الخضر ٥٢
* الخضر يدل تائهي الصوفية ٥٣
* الخضر يحب الشوربة ٥٣
* الخضر تابع للحفني ٥٤
* الخضر يعيين الأبدال ٥٤
* يخبر بمقام الصوفية عند ربهم ٥٥
* شروط اجتماع الصوفي والخضر ٥٥

Upload by : altawhedmag.com

* الخضر مقام وليس شخص ٥٦
* تعقيب مهم ٥٨
الفصل الرابع: القول المبين في حياة الخضر ٥٩
١- الدليل من القرآن الكريم ٥٩
٢- الدليل من السُّنة المطهرة ٦٠
* قولهم الخضر ولي وليس بنبي ٦١
٣- إجماع المحققين من علماء الأمة ٦٣
٤- الدليل من المعقول ٦٤
٥- من المرئي في قصص لقاء الخضر؟ ٦٥
٦- تجربة المؤلف مع بعض من يرون الخضر ٦٧
ملخص الباب الأول ٧٠
الباب الثاني: مهمة الخضر ٧١
الفصل الأول: تمهيد وتعريف ٧٣
١- تعريف الرسالة ٧٣
٢- تعريف النبوة : ٧٤
الطريقة الأولى من طرق الوحي ٧٥
الطريقة الثانية من طرق الوحي ٧٥
الطريقة الثالثة من طرق الوحي ٧٥
* الفرق بين النبي والرسول ٧٦
٣- تعريف الولاية ٧٧
* الأولياء في القرآن ٧٨
* الأولياء في السنة ٨٠
الفصل الثاني: المعجزة والكرامة ٨٣
أولا: أنواع الخوارق ٨٣
ثانيا: مناقشة الخوارق ٨٥
* الفرق بين خوارق الكهان ومعجزات الأنبياء ٨٥
* الفرق بين المعجزة والكرامة ٨٥
ثالثا: الكرامة لها أصل في المعجزة ٨٧

Upload by : altawhedmag.com

رابعا: الايات والمعجزات ٨٨
خامسا: تميز الأنبياء على الأولياء..... ٨٩
- أصحاب الأحوال الرحمانية وأصحاب الأحوال الشيطانية ٨٩
الفصل الثالث: مهمة الخضر..... ٩١
١ - الخضر ملك ٩١
٢ - الخضر ولي..... ٩١
- وحي الصوفية. ٩٢
٣- الخضر نبي..... ٩٣
* الخضر نبي عند بعض الصوفية ٩٤
الفصل الرابع: دلائل نبوة الخضر. ٩٥
١ - رحمة الخضر..... ٩٥
٢ - ارتباط الرحمة بالعلم ٩٥
٣- الخضر يتلقى الوحي..... ٩٦
٤ - إطلاع الخضر على الغيب..... ٩٦
٥ - عصمة الخضر ٩٧
٦ - عناصر النبوة في القصة ٩٨
* فتوى شرعية مهمة. ١٠١
ملخص الباب الثاني..... ١٠٢
الباب الثالث: تأملات حول اللقاء ١٠٣
الفصل الأول: مشاهد في حياة موسى ١٠٥
١ - ميلاد الكليم..... ١٠٥
٢ - موسى القاتل البريء..... ١٠٧
٣- لقاء موسى وشعيب ١٠٨
الفصل الثاني: سبب اللقاء..... ١١١
الفصل الثالث: أحداث اللقاء ١١٤
١ - آداب اللقاء. ١١٤
٢ - خرق السفينة ١١٦
٣- قتل الغلام..... ١١٧
٤ - الجدار المائل ١١٧

Upload by : altawhedmag.com

الفصل الرابع: أضواء على اللقاء ١١٩
١- الملك الظالم وفرعون ١١٩
٢- قتيل موسى وقتيل الخضر ١٢٠
٣- الجدار والبئر ١٢١
٤- موسى والكنز ١٢١
الفصل الخامس: دروس وعبر ١٢٣
١- تأملات في اللقاء ١٢٣
٢- المدهش من كلام ابن الجوزي ١٢٦
٣- تعقيب مهم ١٢٧
ملخص الباب الثالث ١٣١
الباب الرابع: العلم اللدني ١٣٣
الفصل الأول: فكرة العلم اللدني ١٣٥
١- أهناك علم عندي وعلم لدني؟ ١٣٥
* تعريف العلم اللدني ١٣٥
* أنواع العلم اللدني ١٣٧
٢- "عند" في اللغة والقرآن الكريم ١٣٨
٣- "لدن" في اللغة والقرآن ١٤٠
٤- مقارنة "عند" و "لدن" في اللغة والقرآن الكريم ١٤٢
* القرآن لا يفرق بين "عند" و"لدن" في الحديث عن النصر والولاية ١٤٢
الفصل الثاني: القرآن يرد دعاوى الباطنية ١٤٤
مصادر الشريعة علوم لدنية ١٤٥
الفصل الثالث: مناقشة هادئة للفكر الباطني ١٤٦
ملخص الباب الرابع ١٤٧
خاتمة ١٤٩
المراجع ١٥١
صورة موافقة الأزهر ١٥٥
الفهارس ١٥٦

Upload by : altawhedmag.com

Upload by : altawhedmag.com

الكتاب في سطور

يناقش الكتاب الأساس الذي قام عليه الفكر الباطني، وتقسيم العلم إلى ظاهر وباطن، فما زال لقاء موسى والخضر يمثل حجر الزاوية في هذا البناء.

* يبحث الكتاب في ضوء القرآن والسنة كل ما ترتب على هذه القصة من قضايا، ومنها: حياة الخضر، وعمره، وهل يعيش حقا حتى تقوم الساعة؟ وهل التقى الخضر النبي صلى الله عليه وسلم؟ أم تراه التقى أيًا من الصحابة: أبا بكر، أو عمر، أو عليًا، أو أنسًا؟ أم التقى عمر بن عبد العزيز، وغيره من التابعين؟ وهل ملك هو، أم نبي، أم ولي؟

* يتناول الكتاب سبب لقاء موسى والخضر، ويتأمل اللقاء، ودروسه، وعبره المستفادة، ويقدم ويفسر أفعال الخضر في ضوء أحداث في حياة موسى، ويقدم أدلة نبوة الخضر عليه السلام من الكتاب والسنة.

* يناقش الكتاب الفرق بين المعجزة والكرامة، وفكرة العلم اللدني، وهل هناك علم لدني وعلم عندي؟ ويتأمل استخدام القرآن الكريم للفظي لدن وعند، ويمهد لمناقشة أوسع في الكتاب التالي من كتب هذه السلسلة.

سلسلة الظاهر والباطن

صدر منها خمسة كتب كل منها قائم بذاته، ويعالج موضوعا مستقلا، وهذه الكتب هي:

١ – موسى والخضر علما الظاهر والباطن.
٢ – جذور الشيعة وجيش المهدي.
٣ – عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة.
٤ – القول الصريح عن حقيقة الضريح.
٥ – السلوك القويم على الصراط المستقيم.

محمود المراكبي

الطبعة الثالثة

Upload by : altawhedmag.com